المواقع الأثرية في منطقة الجوف

د. خليل ابراهيم المعيقل

قسم الآثار ـ جامعة الملك سعود

تقع منطقة الجوف في الجزء الشمالي من المملكة العربية السعودية ، وتشغل مساحة كبيرة تمتد من صحراء النفوذ جنوباً حتى حدود المملكة مع الاردن شمالاً . هذه المساحة التي تشغلها منطقة الجوف كانت تشكل حلقة الوصل التي كانت تربط بلاد الشام ووادي الرافدين بوسط وشرق الجزيرة العربية خلال العصور الحضارية المختلفة . وتنتشر فى الجوف عدد كبير من المواقع الاثرية التى تعود لمختلف الفترات الحضارية ، وتعكس هذه المواقع استمراراً استيطانيا منذ أقدم عصور ماقبل التاريخ(العصور الحجرية) حتى العصر الحاضر ، وقد ساعد على هذه الاستمرارية الاستيطانية عدة عوامل يأتي في مقدمتها طبيعة المنطقة ومقومات الاستقرار التى تتمتع بها ، مثل وفرة المياه والأرض الصالحة للزراعة والتى كانت أهم مقومات حياة الاستقرار ، وكذلك موقعها المتوسط والذي شكل حلقة وصل بين المراكز الحضارية المختلفة في كل من بلاد الشام ووادي الرافدين من جانب والجزيرة العربية من جانب آخر ، وهذا جعل من واحات منطقة الجوف محطات رئيسية على طريق القوافل التجارية التي كانت تعبر وادي السرحان . لذلك فقد توفرت لسكان المنطقة خلال العصور القديمة كل المقومات

الاقتصادية التي كانت متاحة في تلك العصور من زراعة وتجارة ورعي وصناعة، وهي تمثل جل أوجه النشاط الاقتصادي التي كان يتطلع اليها أي مجتمع مستقر ومتحضر .

وقد عمل سكان المنطقة على الاستفادة من الموقع المتميز ، واتصلوا بالمراكز الحضارية في كل من بلاد الشام ووادي الرافدين وأدى هذا الى احتكاك حضاري نتج عنه ازدهار وتطور المراكز الحضارية في واحات الجوف ، وهذا تعكسه الآثار المكتشفة في المنطقة والتي تحمل بعض السمات والخصائص الحضارية التي يمكن نسبتها الى مزيج حضاري كان نتاج تلك الاتصالات بالحضارات الاخري .

الظروف والعوامل التي أشرنا اليها أعلاه ساعدت على ازدهار الاستيطان واستمراره في المنطقة ، وقد خلف لنا هذا مواقع أثرية عديدة تعود لعصور مختلفة تمثل مختلف الفترات الحضارية التي مرت على شمال الجزيرة العربية .

مواقع عصور ما قبل التاريخ :

تعرف عصور ماقبل التاريخ بالعصور الحجرية وهى أقدم مراحل الاستيطان الانساني ، وتمتد هذه العصور من مليون وربع المليون سنة حتى حوالي خمسة آلاف سنة من الوقت الحاضر ، وقد تميزت هذه العصور باستخدام الانسان أدوات حجرية قام بتصنيعها من حجر الصوان تفى بمتطلبات حياة الصيد التى كان يمارسها انسان العصور الحجرية ويعتمد عليها في معيشته .

تتميز منطقة الجوف باحتوائها على أقدم مواقع عصور ماقبل التاريخ في الجزيرة العربية ، حيث كشفت أعمال المسح الأثرى على موقع بالقرب من مركز الشويحطية وعلى أحد جوانب شعيب (وادي) الشويحطية الذي سمي باسم المكان ، هذا الموقع يبعد عن مدينة سكاكا بحوالي ٣٥ كم . ويعد موقع الشويحطية أقدم موقع أثري في الجزيرة العربية ، وربما ثانى موقع أثري في العالم القديم .

الموقع عبارة عن مستوطنة تتكون من عدة مواقع متجاورة ، وقد أثبتت دراسة طبيعة الموقع والادوات الحجرية البدائية التي وجدت فيه أن تاريخ هذه المستوطنة أقدم مما كان يعتقد في باديء الأمر ، حيث اثبتت دراسة الأدوات الحجرية التي تم مقارنتها بمواد مشابهة عثر عليها فى موقع كاديب في أثيوبياً تجانسا واضحاً بين الموقعين ، وقد أرخت أدوات موقع كاديب عن طريق تحليل بقاياً العظام التى عثر عليها فى الموقع بطريقة تحليل كربون ١٤ والتى حددت تاريخ ذلك الموقع بأكثر من مليون ومئتى ألف سنة . وعن طريق مقارنة الأدوات الحجرية في الموقعين تم تأريخ الاستيطان في الشويحطية لأكثر من مليون سنة . لذا فان موقع الشويحطية يعد موقعاً فريداً ليس فقط على مستوى الجزيرة العربية بل على مستوى الشرق الادنى القديم ، وقد أثبت هذا الموقع أن بيئة منطقة الجوف خلال تلك الحقبة القديمة جداً كانت بيئة ملائمة وصالحة للاستقرار وتتوفر فيها مقومات الحياة التى كان يحتاج اليها انسان العصور الحجرية القديمة مع توفر الغطاء النباتي والماء وحيوانات الصيد المختلفة الانواع .

كذلك تم الكشف عن عدد كبير من مواقع العصور الحجرية التي تعود لفترة أحدث من موقع الشويحطيه ، حيث عثر على عدد من هذه المواقع عند الطرف الشمالي والجنوبيّ والشرقي لحوض سكاكا مثل مواقع (٢٠١ ـ ٦ ، ٢٠١ ـ ٤٩) . كما عثر على عدد من مواقع العصر الحجرى الأوسط خاصة الى الجنوب من سكاكا على حافة صحراء النفود ، وكذلك الى الغرب من دومة الجندل وفي وادي باير وبالقرب من بلدتي كاف وأثرة وفى وادي مشار بالقرب من جبل ماقل فى محافظة القريات .

أما فترة العصر الحجري الحديث والتي تمتد حتى ٥٠٠٠ سنة ، فتعد من الفترات الغامضة في المنطقة حيث لم يسجل أي موقع في الأجزاء الجنوبية من المنطقة ، وقد سجل عدد محدود من

مواقع العصور الحجرية الحديثة فى شمال المملكة فى كل من وادي عرعر وبالقرب من جبل أم وعال بالقرب من طريف اضافة الى عدد من المواقع في شمال وادي السرحان .

مواقع الألف الرابع ـ الثالث قبل الميلاد :

تمثل هذه المرحلة أهم المراحل الاستيطانية التى شهدت تغيراً في طبيعة الاستيطان واستخدام مواد جديدة فى الصناعة مثل النحاس والطين أو الطمى الذي استخدم في صناعة الأواني الفخارية . وقد شهدت هذه الفترة استمرار استخدام الأدوات الحجرية جنباً الى جنب مع الأدوات الجديدة التي بدأ الانسان في صناعتها . ان من أبرز المواقع الأثرية في منطقة الجوف والتي تنتمي لهذه المرحلة موقع الرجاجيل الذي يقع الى الجنوب من مدينة سكاكا وعلي مسافة ٥ كم من مركز قاراً . يتكون هذا الموقع من أكثر من خمسين مجموعة من الأعمدة الحجرية ، كل مجموعة مستقلة عن الأخرى وتتكون من عدد من الأعمدة الحجرية المنحوتة من الحجر الرملي ، ويتراوح عددها بين ثلاثة الى سبعة أعمدة، ويصل ارتفاع بعض الأعمدة القائمة لأكثر من ثلاثة أمتار وتبلغ سماكة الأعمدة حوالي ٦٠ سم . رصت الأعمدة متجاورة على خط مستقيم ، لكن معظم تلك المجموعات متساقطة أو في وضع مائل ، وتواجه مجموعات الأعمدة تجاه الشرق أو تجاه شروق الشمس. طبيعة هذا الموقع ووضع مجموعات الأعمدة تشير الى الطبيعة الدينية له ، وربما يكون هذا الموقع عبارة عن مجمع لمعابد مختلفة بحيث ترتبط كل مجموعة من مجموعات الأعمدة (أو معبد) بشعب أو قبيلة ، حيث يعتقد أن يكون الموقع مركزاً دينياً تفد اليه المجموعات البشرية من خارج المنطقة لأداء طقوسها الدينية .

الأدوات الحجرية والكسر الفخارية التي تنتشر على سطح الموقع تؤرخه للألف الرابع قبل الميلاد ، أو الى ما يعرف بحضارة العصر النحاسي (الكالكوليثي) .

اضافة لموقع الرجاجيل عثر فى المنطقة على عدد من المواقع التي تنسب لهذه الفترة ، حيث كشف الى الغرب من دومة الجندل على موقعين (٢٠١ ـ ٥٤ ، ٢٠١ ـ ٥٦) وهما عبارة عن مجموعات من الدوائر الحجرية تمثل قرى استيطانية عثر فيها على أدوات حجرية وكسر فخارية تشابه تلك التي وجدت في موقع الرجاجيل ، كذلك عثر على دوائر حجرية مشابهة لها فى وادي مشار عند سفح جبل ماقل شمال كاف بمحافظة القريات . الفخار المكتشف فى هذا الموقع يماثل نماذج فخارية وجدت فى فلسطين وشبه جزيرة سيناء والتى تؤرخ لفترة العصر النحاسي وبالتحديد الى نهاية الألف الرابع وبداية الألف الثالث قبل الميلاد .

فترة الألف الثاني قبل الميلاد غير واضحة فى المنطقة في ضوء الأعمال الأثرية المحدودة التي تمت حتى الآن ، حيث لم يعثر على أي موقع أثري يمكن نسبته الى هذه الفترة .

مواقع الألف الأول قبل الميلاد :

تعد فترة الألف الأول قبل الميلاد من أهم الفترات الحضارية التي مرت على المنطقة والتي تأكدت من خلاله الأدلة الأثرية والكتابية . لقد شهد الألف الأول قبل الميلاد بداية تجارة القوافل وازدهار طرقها التى كانت تعبر منطقة الجوف باتجاه الشمال والشمال الشرقي وبالعكس. كما شهدت هذه الفترة ظهور العرب كعنصر بشريً علي مسرح التاريخ وذلك من خلال المدونات الآشورية والبابلية والتي ورد فيها أول ذكر لكلمة عرب في القرن التاسع قبل الميلاد ثم تلا ذلك اشارات لشعوب وقبائل عربية كانت في وضع حرب من ملوك آشور . وقد كانت دومة الجندل المركز السياسي لبعض هذه الشعوب كما تشير الي ذلك النقوش الاشورية وهذا ما دفع بعض ملوك آشور خاصة سنحاريب الذى استولى على مدينة دومة الجندل فى سنة ٦٨٨ قبل الميلاد ونقل جميع الالهة التى كانت فيها الى نينوى عاصمة آشور . هذه النقوش أكدت

ازدهار دومة الجندل خلال النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد . وقد استمرت دومة الجندل مركزاً حضارياً مزدهراً بعد سقوط دولتي آشور وبابل ، بل ان فترة النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد تعد من أهم مراحل ازدهار المدينة وتوسعها ، حيث أصبحت خلال هذه الفترة أهم المراكز التي كانت تتحكم بطرق قوافل التجارة التي كانت تعبر وادي السرحان باتجاه الشمال والجنوب . ونظراً لأهمية هذا الدور الذي كانت تقوم به دومة الجندل فقد امتد نفوذ دولة الانباط التي سيطرت على دومة الجندل منذ القرن الأول قبل الميلاد وقد أصبحت المدينة في نهاية الألف الأول قبل الميلاد أهم المراكز النبطية في شمال الجزيرة العربية .

يضاف الى دومة الجندل عدة مواقع أخرى عثر فيها على مواد أثرية تعود لفترة الألف الأول قبل الميلاد ، ومنها موقع سكاكا الذي عثر فيه بالقرب من قلعة زعبل على كسر من الفخار المدهون الذي يؤرخ لمنتصف الألف الأول قبل الميلاد (العصر الحديدي المتأخر) ، كما عثر على فخار مشابه لفخار سكاكا في كل من موقع الرسلانية بأثره وموقع عقيلة المشعان الى الشمال من كاف . كما كشف الى الشرق من أثره على بقايا مستوطنة تؤرخ لمنتصف الألف الأول قبل الميلاد بالقرب من موقع رأس العانية . كذلك سجلت أعمال المسح الأثرى مجموعة من المقابر الركامية تعود لفترة الألف الأول قبل الميلاد ، وقد تم حفر احدى هذه المقابر وأظهرت فخاراً يؤرخ للقرن السابع قبل الميلاد. وعثر داخل قصر الصعيدي المطل على بلدة كاف على مجموعة من الكسر الفخارية التي تشبه فخار موقع عقيلة المشعان والتى تؤرخ لمنتصف الألف الأول قبل الميلاد .

مواقع العصر النبطي :

يمتد العصر النبطي من ٣١٢ قبل الميلاد حتى ١٠٦ م . الا أن هذه الفترة لم تتضح فى منطقة الجوف الا فى القرن الأول قبل الميلاد . وتمثل هذه الفترة أهم الفترات الحضارية التي شهدتها المنطقة ،

حيث أظهرت المواقع الاثرية كثافة استيطانية كبيرة فى مختلف المراكز الحضارية على طول المنطقة . وقد خلفت لنا فترة العصر النبطي مواقع أثرية عديدة تحوي آثاراً بارزة فوق السطح وأخرى مطمورة ، وتأتي دومة الجندل في مقدمة هذه المواقع التي تحوي آثاراً بارزة أهمها قلعة مارد التي أثبتت أعمال الحفر داخل القلعة وخارجها وجود طبقات أثرية وكسر فخارية تؤرخ للعصر النبطي ، حيث أكدت هذه المواد أن قلعة مارد كانت عامرة ومستخدمة خلال ازدهار دومة الجندل فى العصر النبطي ، وربما تكون أساسات القلعة الضخمة تعود لفترة العصر النبطي . كذلك كشفت أعمال الحفر الأثري وجود طبقات أثرية نبطية فى أجزاء مختلفة من دومة الجندل ، وبشكل خاص بالقرب من مسجد عمر بن الخطاب وداخل حي الدرع ، أقدم أحياء المدينة ، اضافة الى الكشف عن مجموعة من المقابر النبطية الجماعية في الجزء الغربي من دومة الجندل في موقع يسمى الصنيميات ، تخطيط هذه المقابر وطرق الدفن بالاضافة للمواد الأثرية التي وجدت أثناء حفر هذه المقابر تؤكد نسبيتها الى مرحلة الاستيطان النبطي فى دومة الجندل. كما كشفت حفريات دومة الجندل عن جانب من سورها والذي يعتقد حتى الآن أن بناءه يعود لهذه المرحلة المهمة من تاريخ المدينة . أما فى مدينة سكاكا فقد تأكدت الفترة النبطية من خلال العدد الكبير من الكتابات التي وجدت حول المدينة ، اضافة الى اكتشاف موقع قيال الذي يبعد عن سكاكا حوالي ١٢ كم باتجاه الشمال الغربي ، وهذا الموقع عبارة عن حامية عسكرية تعود للعصر النبطي ويتكون الموقع من مستوطنة سكنية تقع على سفح جبل قيال الجنوبي ومن معبد وأبراج مراقبة فوق القمة الشرقية للجبل. وفي الجزء الشمالى من المنطقة وبالتحديد فى محافظة القريات سجل عدد من المواقع الأثرية التى تحوي مواد أثرية ومنشآت نبطية ومن أهم هذه المواقع موقع أثره الذي يوجد به قصر نبطي قائم مشيد

بالحجر البازلتي ، هذا القصر كان مستخدماً حتى وقت قريب ولا يزال فى حالة جيدة ويعد من أبرز الأثار النبطية في شمال الجزيرة العربية . كذلك عثر على اساسات معبد نبطي في موقع رأس العانية بالقرب من أثره وعلى منشآت مائية (آبار وقنوات أرضية) داخل البلدة . وفى موقع كاف عثر على أدلة استيطان نبطي داخل قصر الصعيدي ، وقد لوحظ داخل ساحة القصر اساسات بناء مستطيل وجد بالقرب منه بعض كسر الفخار النبطي المميز . أما في موقع الحديثه فقد وجدت أنظمة ري (قنوات أرضية وآبار مطوية) يعتقد أنها تعود في أصلها لفترة ازدهار المنطقة خلال العصر النبطي .

مواقع الفترة الكندية ـ الغسانية :

يمتد زمن الفترة الكنَدية ـ الغسانية بين القرن الثاني الميلاد حتى بزوغ فجر الاسلام . وقد تميزت هذه الفترة بسيطرة القبائل العربية على الوضع السياسي فى وسط وشمال الجزيرة العربية . ورغم أن بلاد الشام كانت خلال هذه الفترة واقعة تحت الاستعمار الروماني ثم البيزنطي الا أن نفوذ الرومان المباشر لم يمتد الى شمال الجزيرة العربية . وقد خضعت المراكز الحضارية فى منطقة الجوف خلال هذه الحقبة الزمنية للسيطرة السياسية لدولة الغساسنه والتى عمل الرومان والبيزنطيون على قيامها وضمان استمرارها بهدف حماية الحدود الجنوبية لهذه الامبراطورية . وقد عمل الغساسنه على عقد تحالفات مع مختلف القبائل العربية في شمال الجزيرة العربية . كذلك برزت دولة كنده فى مرحلتها الثانية منذ النصف الأول من القرن الخامس الميلادي كسلطة سياسية قوية استطاعت ان تهيمن على أجزاء كبيرة من وسط وشمال الجزيرة العربية بما فيها واحات منطقة الجوف .

المواقع الاثرية فى منطقة الجوف والتي تعود لهذه الفترة تمثل استمراراً للمواقع التى كانت قائمة خلال العصر النبطي ، ويأتي في مقدمة هذه المواقع موقع دومة الجندل ـ الحاضرة الرئيسية في

هذه الفترة اضافة الى مواقع سكاكا ، اثره ، كاف ، الحديثه . استمر استيطان هذه المراكز خلال عصور مختلفة سبقت هذه الفترة واستمرت بعدها .

المواقع الاسلامية :

تمثل الاثار الاسلامية أهم وأبرز آثار منطقة الجوف ، بل ان أهم الآثار الشاخصة فوق سطح الأرض تعود لفترة الاستيطان الاسلامي فى المنطقة ، وهذا كان نتيجة الازدهار الحضاري الذي شهدته المراكز الاستيطانية في المنطقة والتي لم تتأثر بالتحولات السياسية التي صاحبت انتقال مركز الخلافة الاسلامية من المدينة المنورة الى دمشق ومن ثم الى بغداد . تتميز منطقة الجوف بتنوع آثارها الاسلامية التي تمثلها المساجد الأثرية والقلاع والحصون وبقايا المدن القديمة والمواقع المندثرة . ان من أهم الآثار الاسلامية فى المنطقة مسجد عمر بن الخطاب بدومة الجندل ، والذي يعد من أقدم المساجد الأثرية القائمة في المملكة العربية السعودية ، ويتميز هذا المسجد بمئذنته المربعة ذات الطراز الفريد والتي ترتفع لأكثر من ١٢ متراً ويبلغ طول ضلع قاعدتها ٣ أمتار . أما تخطيط المسجد فيشبه الى حد بعيد تخطيط المساجد الاسلامية الأولى ويذكرنا بتخطيط مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة في مراحله المعمارية الأولى أيام الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم . كذلك هناك فى دومة الجندل مسجد أثرى آخر مندثر عثر على بقاياه الى الشرق من قلعة مارد وسط الجزء المندثر من مدينة دومة الجندل القديمة، ويظهر من هذا المسجد جزء من جدار القبلة والمحراب والمنبر ويشبه تماماً مسجد عمر ابن الخطاب .

تقف الى الجنوب مباشرة من مسجد عمر قلعة مارد التي تعد من أبرز الآثار المعمارية فى دومة الجندل ، وقد شيدت هذه القلعة فى عصور تسبق الاسلام ، كما أشرنا الى ذلك سابقاً ، الا أن القلعة استمر استخدامها خلال العصور الاسلامية المختلفة ، وخلال هذه الفترة أعيد بناء بعض أجزاء القلعة خاصة الأجزاء العلوية من جدرانها وأبراجها ، وكان آخر مرحلة رممت فيها القلعة حوالي عام ١٩٢٢م.

بقايا مدينة دومة الجندل الاسلامية

يمثلهـــا حي الدرع الواقع وسط المدينة القديمة ملاصقا لمسجد عمر من جهة الشـمـال ، ويعـد الجزء المتبـقي من حي الدرع من أهم بقـايا المدن الاسلاميـة فى شـمال الجزيرة العربيـة نظراً للطبيعـة التخطيطية والمعمارية التي تميز بها هذا الجزء من بقـايا دومـة الجندل الاسـلاميـة ، حـيث شـيـدت المدينة بالحـجـارة وانعكس ذلك على نمط البناء وعناصره المعمارية . ومن الخصـائص المعـمارية التي تظهر في هذا الحي الممرات والأزقـة الضـيـقـة والمتعرجة والمنازل ذات المساقط المختلفة التي تتكون من طابقين في غـالب الأحوال، كما استخدم في هذا الحي بعض العناصر المعـمـارية المرتبطة بالعـمـارة الحـجـرية مـثل العـقـود على اخـتـلاف أشكالها والطنف الحجرية .

يقوم حى الدرع فوق طبقات أثرية تعود لعصور تسبق الاسلام ، وقد تأكد ذلك من خـلال الحـفـريات الأثرية التى أجريت داخـل الحي وأظهرت مبان تحت مستوى المنشآت المعمارية القائمة والتي تعود كلها للعصر الاسلامي .

كما تحوي مدينة سكاكا على بعض الآثار الاسلامية الشاخصة من أبرزها-قلعة زعبل التي تقع عند الطرف الشـمـالي للمدينة . شيدت القلعة فوق مرتفع صخري تطل من فوقه على المدينة باتجاه الجنوب . وتتـميـز قلعة زعبل بتـحـصـينها الطبيعي وترتفع عن المنطقة المحيطة بها بحوالى ٢٥ متراً. وقد بنيت القلعة من الطوب اللبن والحجر الرملي ويعتمد تخطيطها على سور يتبع الشكل الطبيعي للمرتفع الصخرى ويحف بهذا السور أربعة أبراج مستديرة تتوزع على مـحـيط جدارها الخارجي الذي يأخذ شكلا غير منتظم .

والى الجنوب من سكاكـا وفى الجزء الشمالي الغربي من مركز قاراً يوجد قصر صغـيـر يسمى قـصـر القـدير ، شـيـد هذا القصر على سفح جبل وهو عبارة عن بناء صـغـيـر الحجم بني من الحـجـر الرملي ، وتبلغ مـسـاحـتـه حـوالي ٧ × ٥ر٦م ، أما أهميـة هـذا المبنى فتنبع من وجود نص

كتابي تأسيسي يؤرخ لبنائه في اليوم الأول من شهر محرم من سنة خمسمائة وثمانية عشر للهجرة .

وفي الجزء الشمالي من منطقة الجوف توجد بعض المواقع والآثار الاسلامية أهمها موقع اثره الذي يحتوي على أدلة استيطان اسلامي حيث استمرت المدينة مزدهرة خلال العصور الاسلامية المختلفة وقد استمر استخدام القصر النبطي الواقع وسط البلدة خلال العصور الاسلامية ويظهر أعلى مدخله الشمالي كتابة عربية بالخط الكوفي لآية الكرسي. وفي الطرف الشمالي الشرقي من البلده يوجد موقع الرسلانية الاسلامي الذي تغطيه الرمال ، وينتشر على سطح هذا الموقع أنماط مختلفة من الفخار الأموي المميز .

كذلك وجدت أدلة استيطان اسلامي في بلدة كاف ، حيث عثر داخل قصر الصعيدي المطل على البلدة على كسر من الفخار الاسلامي التي تؤكد أن القصر استمر استخدامه خلال العصر الاسلامي بل ان القصر أعيد بناؤه فى سنة ١٣٢١هـ كما يشير الى ذلك نص كتابي على مدخله .

بالاضافة الى الآثار والمواقع الاسلامية التي تنتشر فى منطقة الجوف سجلت فى مواضع مختلفة من المنطقة أعداد كبيرة من الكتابات الاسلامية المبكرة التى يمكن تأريخها للفترة الواقعة بين القرن الثاني الى السابع الهجري .

تشير هذه الكتابات وكثافتها الى أن اتصال المراكز الحضارية بالمحيط الخارجي لم تنقطع نظراً لوقوع المنطقة على بعض مسارات طرق الحج خاصة الطريق الذي يربط الأجزاء الجنوبية الغربية من الطرق بالأراضي المقدسة والذي يعبر الجزء الجنوبي من المنطقة .

استراتيجية تشجيع الصادرات وراء نجاح النمور الآسيوية

د . صلاح زين الدين

كلية الحقوق ـ جامعة طنطا مصر

مقدمة :

في كثير من الدول النامية استنفدت استراتيجية التصنيع القائمة على إحلال الواردات جميع أغراضها المتمثلة في اقامة صناعة وطنية فى ظل الحماية والتركيز على انتاج السلع الشعبية . وأصبح الاستمرار فى هذه السياسة يمثل اهدارا للموارد ويحرم الاقتصاد القومي من المزايا التى تضيفها التكنولوجيا الحديثة على النمط الحالي لتقسيم العمل الدولي .

وقبل نحو عشرين عاماً اهتم مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية (الأونكتاد) بقضية تشجيع صادرات الدول النامية من السلع الصناعية ، وأدرج هذا الموضوع في جدول أعمال مؤتمره الثالث عام ١٩٧٢م بسانتياجو عاصمة شيلي . وأوصى المؤتمر بضرورة مساعدة الدول النامية على رفع قدرتها التنافسية في السوق العالمية وتدعيم قدرات الوحدات الانتاجية المتجهة للتصدير ، وخاصة تصدير السلع الصناعية ونصف المصنعة ، ونجحت بعض الدول النامية في آسيا وأمريكا اللاتينية فى أن تنهي مرحلة التصنيع المعتمد علي احلال الواردات ، وأن تغزو منتجاتها من

السلع الصناعية السوق العالمية ، وذلك بفضل تبني استراتيجية جديدة للتصنيع ترتكز على تشجيع الصادرات . وقد يكون أفضل اختيار أمام صانعي السياسة الاقتصادية في الدول النامية التركيز في عملية التنمية على أسس استراتيجية تشجيع الصادرات .

اهداف استراتيجية تشجيع الصادرات :

ان الحديث عن وضع اسس لاستراتيجية تصنيع تقوم على تشجيع الصادرات يقودنا بداية الى التركيز على الهدف منها ، الا وهو تحقيق اندماج أقوى للاقتصاد القومي في تقسيم العمل الدولي . لذلك سنبدأ الحديث عن أهمية الصادرات في عملية التنمية الاقتصادية وضرورة تنويع هيكل الصادرات ، ثم نعرض بإيجاز معوقات التصدير في مصر والدول النامية . ونفرق في ذلك بين المشكلات الهيكلية المتعلقة بالتنمية ، وتلك التي تمثل مجرد اختناقات في الانتاج والتصدير والناتجة عن قصور في ادارة المنشآت الصناعية . وفي هذا الخصوص ينبغي التطرق الى الحديث عن الاختناقات الناتجة عن اتباع سياسة إحلال الواردات وجوانبها السلبية ، رغم أن لها آثاراً ايجابية في بداية عملية التنمية تتجلي فى تعبئة الموارد المحلية ، غير ان استمرار اتباع سياسة التصنيع القائم على إحلال الواردات يؤدى في المدى البعيدَ الى اهمال اقتصاديات التصدير .

دور التصدير في عملية التنمية :

لعل نظرة سريعة على تصنيف الدول النامية الى مجموعات منخفضة ومتوسطة ومرتفعة الدخل ، وذلك حسب تقرير البنك الدولى حول التنمية في العالم ١٩٩٣م ، يتضح لنا أن معظم الدول منخفضة الدخل تعتمد على استراتيجية احلال الواردات والتوجه نحو السوق المحلية ، وعلى عكس ذلك نجد أن الدول التي تتجه نحو السوق العالمية وتتبع استراتيجية تدعيم الصادرات هي من الدول مرتفعة الدخل . وهذه الرؤية البسيطة تتفق تماما مع التفسير النظري الذي يقول بأن الصادرات تؤثر بطرق

مباشرة وغير مباشرة على التنمية الاقتصادية . والتأثير يكون بطريق مباشر لأن الصادرات تمثل على المستوى الماكرو اقتصادي زيادة فى الطلب الكلي ، وبطريق غير مباشر لأن صناعات التصدير تعد مصدرا حيوياً لعملية التراكم الرأسمالي على المستوى القومي . وبذلك تحقق الصادرات للدولة نصيباً مرتفعاً من السيولة الدولية ، وهي ضرورية حيث تستخدم لتمويل الواردات اللازمة لتنفيذ الاستثمارات المخططة .

ولكن الى اي مدي يمكن أن تساهم التجارة الخارجية للدولة في الاسراع من عملية التنمية الاقتصادية ؟ ان ذلك يتوقف في المدي القصير على مدي ارتفاع حصيلة الصادرات ودرجة نمو الصادرات ويتوقف ايضا على مدى الحاجة الى الاستيراد ، ولقياس حجم الصادرات وتطورها ، عادة ما يستخدم تطور كمية الصادرات وتوزيعها الجغرافي . وكلما كان هيكل الصادرات السلعية متنوعاً ، كلما ارتفع احتمال زيادة عرض الصادرات وذلك يعني ان الطلب العالمي على هذه السلع سيكون متميزاً نسبياً بمرونة سعرية ومرونه دخلية . وذلك يجعل اقتصاد الدولة لا يتزعزع أمام تذبذب الأسعار العالمية أو التغيرات والتقلبات في الأسواق العالمية .

اما الحاجة الى الاستيراد فهي تتمثل في كمية السلع الاستثمارية والاستهلاكية التي يجب استيرادها من الخارج وبذلك يمكن تحقيق الزيادة المرجوة في متوسط دخل الفرد مع تحقيق درجة عالية من التشغيل واشباع حاجات الاستهلاك دون ضغوط تضخمية بقدر الامكان . ان حاجة أية دولة للواردات سيكون شديداً كلما كان متوسط دخل الفرد المستهدف مرتفعاً ، وكلما ارتفع معدل النمو السكاني ، وكلما اشتدت الهجرة الداخلية وكلما كانت صناعة السلع الرأسمالية متخلفة ، وكلما كان عرض السلع الاستهلاكية غير مرن ولا يستجيب للطلب المتزايد . وتلك العوامل تفسر بوضوح أسباب زيادة الحاجة الى

الاستيراد في مصر . ومن المعروف أن في الدول النامية يكون من أهم عوامل زيادة الحاجة للاستيراد علي الاطلاق أن الطلب الفعال الملازم لارتفاع الدخل اساساً لا يتولد من امكانيات متاحة فعلاً ، فيؤدي ذلك الى اختناقات مستمرة في جانب العرض ، مما يؤثر بالتالي في امتصاص قوي للواردات ، ويصبح من الضروري توفر طاقة كبيرة للاستيراد ، وتلك لا تتحقق اساساً الا بمقدار حجم حصيلة الصادرات . وبالطبع هناك عوامل أخرى مؤثرة في القدرة على الاستيراد مثل تطور واردات رأس المال ، وتغير أسعار الواردات مع ثبات حجم حصيلة الصادرات ، وبذلك يتضح لنا أهمية الدور الذي تؤديه الصادرات في عملية التنمية .

خطورة تذبذب أسعار السلع الأولية :

الدول النامية يحدوها الأمل منذ وقت طويل أن تساهم صادراتها من المواد الأولية والسلع نصف المصنعة في تحقيق معدلات مرتفعة للتنمية . غير انه قد خاب أمل الكثير من الدول النامية بسبب استمرار حالة الكساد التي تسود العالم منذ السبعينات وباستثناء ارتفاع اسعار البترول وبعض المواد الأولية لفترة محدودة ثم تذبذبها ، فان معدل نمو صادرات المواد الأولية اقل بكثير من معدل نمو صادرات السلع الصناعية ، ناهيك عن التدهور المستمر لمعدل التبادل التجاري للسلع الأولية باستثناء فترة الحرب العالمية الثانية والحرب الكورية . لقد كان الانخراط في عملية التصنيع هو الطريق الشاق لخروج الكثير من الدول النامية من هذا المأزق ، ونجحت بعضها بالفعل في أن تصبح دولاً مصدرة للسلع الصناعية . وفى هذا الخصوص يتضح لنا ظاهرة جديدة تعبر عن اتجاهات للتغيير في تقسيم العمل الدولي ، ويبرز ذلك في الاتجاه نحو تخصص متزايد لدى كثير من الدول النامية في انتاج وتصدير السلع الصناعية الاستهلاكية . وتقارير البنك الدولي تبرز لنا هذا النجاح ، فبالرغم من انخفاض حصيلة صادرات الدول النامية

الا أن نصيبها من صادرات السلع الصناعية في العالم قد ارتفع نسبياً خلال العقود الثلاثة الماضية .

وبينما تتركز صادرات الدول النامية الى الدول الصناعية في المواد الخام المعدنية والزراعية فان صادرات الدول الصناعية الى الدول النامية تتمثل اساسا في السلع الصناعية كثيفة رأس المال والسلع التكنولوجية ، وتلك الصورة توضح هيكل التجارة الخارجية للدول النامية وتوضح أيضا مدى هيمنة أسواق الدول الصناعية المتقدمة على التجارة الخارجية للدول النامية . وباستعراض توزيع الصادرات العالمية نجد ان نصيب الدول الصناعية منها نحو ٧٠٪ ونحو ٢٠٪ نصيب الدول النامية ونحو ١٠٪ نصيب دول شرق أوربا .

وحيث ان مستقبل النمو في الاقتصاد العالمي مازال يرتبط بالانتاج الصناعي ، لذا فان الفرصة ستكون متاحة للدول النامية لزيادة نصيبها من انتاج وتصدير السلع الصناعية وتحقيق معدلات أعلى للتنمية . ومن المؤكد أن فرص النجاح المرتقبة تتوقف على قدرة الدول النامية على رفع قدراتها التنافسية في السوق العالمية والتركيز على مجموعة من السلع تتمتع بمزاياً نسبية في انتاجها ، وذلك يتطلب أيضا ان تفتح الدول الصناعية أسواقها لهذه المنتجات دون عوائق جمركية . وحيث ان الدول النامية يتوفر بها عنصر العمل الرخيص فانه يمكن القول أن هذه الدول سيكون لها ميزة نسبية في انتاج وتصدير السلع الصناعية كثيفة العمل .

ويثور هنا تساؤل وهو كيف يمكن تحديد فروع الصناعة التي تتمتع دولة نامية في انتاجها بمزايا نسبية ؟ ان ذلك يختلف من بلد لآخر ، ويمكن تحديد ذلك بالاستعانة بنظرية هيكشر ــ أوهلين في نسب عوامل الانتاج ، وبمعنى آخر بدرجة تركيز عوامل الانتاج والتي تفترض أن القيمة المضافة لكل مشتغل في أحد فروع الصناعة بالنسبة الى متوسط الصناعة يعكس لنا درجة التركز في رأس المال

العيني ممثلا في الآلات، والتركز في رأس المال البشري ممثلاً في مستوى التعليم والتدريب (١) .

وطبقا لدراسة أجراها لاري H.B.Lary عام ١٩٨٦ حول واردات الدول المتقدمة من السلع الصناعية من الدول النامية ، فان مكونات الاجر في القيمة المضافة لكل مشتغل يمكن اعتباره مؤشراً لدرجة تركز رأس المال البشري لأن الأجور ترتفع بارتفاع المهارة والتعليم والكفاءة ، والمكونات الأخرى للقيمة المضافة غير الأجور يمكن اعتبارها مؤشراً لدرجة تركز رأس المال العيني (٢) .

وعلى العكس من ذلك فان هذه المقولة قد لا تنطبق على جميع الدول النامية ، ذلك لأن الانسان يتوقع أن هيكل التكاليف النسبية لأية دولة ، أي مزاياها النسبية في اسعار عناصر الانتاج، تتغير تبعاً لدرجة نموها الاقتصادي . وتستنتج بعض الدراسات العملية في هذا الصدد أن تركز عناصر الانتاج طبقاً لمفهوم لاري السابق شرحه ، وخاصة في مجال كل صناعة على حده لا يبدو انه ذو علاقة عكسية عند تغير حالة النمو ، بمعنى أن هيكل التكاليف النسبية في تلك الحالة لا يختلف بصورة كبيرة عن مستوى النمو ، ولو قبلنا هذه النتيجة فانه يمكن القول انه يمكن للدول النامية أن تتخصص في بعض فروع انتاج للسلع كُثيفة العمل ، وتصنف فروع الانتاج حسب درجة كثافة عنصر العمل كما يلي : صناعة الاغذية المحفوظة ، المنسوجات ، الأحذية ، المصنوعات الجلدية، الأثاث والمصنوعات الخشبية . الورق ، تكرير البترول ، بعض الآلات الكهربائية ، أجزاء الكترونية بسيطة ، مفاتيح الكترونية وبعض أجزاء من آلات بسيطة مصنوعة من الصلب .

وبجانب هذه السلع الصناعية فانه تبرز في مضمار التطور آفاق جديدة لتصنيع منتجات التكنولوجيا الراقية . ذلك لأن السلع التكنولوجية أي منتجات الاختراعات الحديثة والبحث والتطوير في الدول الصناعية تسلك دورة للمنتج تبدأ

بمرحلة تطرح فيها السلعة التكنولوجية الجديدة في الأسواق ثم مرحلة التنميط وتليها مرحلة النضج حيث يمكن انتاجها بأيد عاملة وآلات بسيطة . وتلك العناصر قد تكون متوفرة في الدولة النامية أو يمكن ان تتوفر في المدى المتوسط . ومن سلع دورة المنتج على سبيل المثال الآلات البصرية والدقيقة ، الآلات الزراعية ، عدد وآلات بسيطة ، آلات النسيج ، آلات البناء ، العقاقير الطبية والخامات التخليقية والمصنعة .

معوقات التصدير في الدول النامية :

اتضح بالتجربة العملية أن التوسع في التصدير لا يمكن تحقيقه ببساطة اذا اتجهت الدولة النامية اثناء عملية التصنيع الى انتاج جميع السلع التي تتمتع فيها بمزايا نسبية في المدى القصير والمتوسط ، لأنه بالاضافة الى ضرورة ازالة معوقات التصدير ، والتي اوجدتها السياسة الحمائية التي تتبعها الدول الصناعية ، فان الأمر يحتاج بصفة عامة الى اجراءات عملية لتدعيم الصادرات لتكفل للصناعات القادرة على المنافسة أن تكون رائدة في مجال التصدير .

ويمكن اجمال أسباب اعاقة التصدير فيما يلي : -

أولاً : الاتجاه نحو تنويع سريع للصادرات في الدول النامية دون توفر الشروط الهيكلية الضرورية لذلك ، فمازالت الدول النامية يعاني معظمها من عدم قدرة مشروعاتها على تحمل المخاطر ، ونقص المعرفة الفنية والادارية ، وقصور في البنية الأساسية بمعناها الواسع .

ثانياً : أنه يوجد فشل مزمن لبرامج التنمية ، وذلك ناتج عن قصور السياسة الاقتصادية للمشروعات في الدول النامية واهمال الأنشطة المتعلقة بالتصدير . ان معوقات التصدير ترجع أساساً الى عوامل هيكلية تتعلق بالتخلف الاقتصادي (٣) .

والنظرية الحديثة في التنمية تتفق على أن افتقار الدول النامية الى طبقة المديرين ورجال الأعمال يعد سببا جوهرياً في أن الكثير من الدول النامية تتأخر في اللحاق بعملية التصنيع والتنمية .

أما عدم اليقين الذي يكتنف عملية تسويق المنتجات وعدم معرفة استراتيجيات البيع ونقص الخبرة بعملية الانتاج تعتبر عوامل جوهرية تمثل مخاطرة أمام الاستثمار الأجنبي الذي يتحاشى الدخول في أنشطة اقتصادية عالية المخاطرة . وهذا الوضع يشرح لنا كيف أن وجود طلب محلي معين في الدول النامية لا يضمن في نفس الوقت أن تستوعب أسواقها السلع المنتجة ، فذلك يتحقق اولا في حالة احلال الواردات مع القيام بعملية التقليد والاقتباس الصناعي والتكنولوجي . وغالبا ما تتبنى الحكومات نماذج احلال الواردات في ظل اجراءات الحماية للصناعة الوطنية الناشئة ، وذلك يحقق مكاسب للمستثمرين المحليين ربما في نظرهم أكثر من استخدامهم رأس المال في بدائل أخرى كالاستثمار في قطاع التصدير ، وفي ذلك تكمن خطورة استراتيجية احلال الواردات التي تعزل الاقتصاد القومي عن التطور التكنولوجي والمنافسة العالمية .

ولعل توفر أعداد كافية ونوعية جديدة من مديري المشروعات ورجال الأعمال المستعدين للمخاطرة ، والقوى العاملة المتعلمة والمدربة يعد شرطا أساسيا لامكان إحلال الانتاج المحلي محل المستورد ، ويعني ذلك زيادة القدرة على تصريف الانتاج المحلي . وينطبق هذا الشرط بصورة أوضح على الانتاج للتصدير ، لأن ظروف السوق العالمية تمثل درجة عالية جدا من المخاطرة أكبر بكثير من ظروف التعامل المأمون في السوق المحلية . وذلك يبدأ بمحاولة لاكتشاف طلب في السوق الخارجية يحتاج الى اشباع وبذلك يتم الانتاج لسلعة ذات جودة معينة تلبي حاجات المستهلكين في تلك الأسواق الخارجية . وسيكون تلبية حاجات المستهلكين في الأسواق الخارجية أكثر صعوبة كلما اتسعت فجوة التطور بين الدولة المصدرة والدولة المستوردة . وفي هذا الخصوص ربما يكون من الأفضل أن تصدر الدولة النامية منتجاتها الى دول تتقارب معها في مستوى دخل الفرد

فقد يكون من الملائم التوجه بالتصدير الى دول شرق أوربا أو دول نامية أخرى تتشابه فيها العادات الاستهلاكية وهيكل الطلب، وذلك يعتبر مجالاً خصباً لاكتساب خبرة جيدة للمنتجين من أجل التصدير لاختبار قدرات أسواق أخرى على استيعاب منتجاتهم، وأيضا عقد اتصالات تجارية تمثل أسسا لغزو أسواق جديدة .

وبالاضافة الي نقص المديرين ورجال الأعمال الأكفاء هناك عوامل أخرى تعوق التصدير، لعل أهمها مايلي :

١ ـ في كثير من الدول النامية توجد قدرات وامكانيات للصناعات الزراعية غير انه لا يمكن الاستفادة منها كاملة ، حيث تتركز ملكية الأرض في أيدي أقلية من الملاك، وتنخفض درجة الاستفادة من المساحة المزروعة ، مما لايدع مجالاً كبيراً لرفع الانتاجية ومن جهة أخرى يستحيل على صغار الفلاحين ذوي الملكيات الزراعية القزمية استخدام الأساليب الحديثة للانتاج الزراعي، وبذلك تفقد المزايا النسبية للتصنيع الزراعي فعاليتها .

٢ ـ في حالة انخفاض درجة تنوع الصناعات المحلية فان الحاجة الي استيراد السلع الوسيطة والاستثمارية من الخارج يحتم ضياع الكثير من الوقت في عمليات الاصلاح والاحلال والتجديد ، وذلك يضر بالقدرة على المنافسة وتنفيذ عقود التصدير في مواعيدها بدقة .

٣ ـ ان وجود اختناقات في الامداد بالكهرباء وانخفاض جودة السلع الوسيطة المنتجة محلياً غالباً ماتؤدي الى انقطاع في تدفق عملية الانتاج .

٤ ـ ان كفاءة الأداء محدودة جداً في قطاع التجارة والخدمات بسبب القصور في منشآت البنية الأساسية مثل الطرق والمواصلات والاتصالات ، وهي غالباً ماتخدم عمليات الاستيراد من الخارج ومقيدة بمعوقات بيروقراطية كثيرة .

٥ ـ حيث أن معظم الدول النامية أقامت تجربة التصنيع على احلال الواردات لذا فانها تفتقر الي بنية اساسية متطورة

لاقتصاد التصدير متمثلة في بيوت تجارة الصادرات، والغرف التجارية، ومؤسسات تمويل الصادرات والتأمين عليها .

٦ ـ إن الرغبة في زيادة نصيب الاستثمارات الأجنبية في المراحل الأولى للتصنيع غالباً ماتكون في المدى المتوسط والطويل عائقاً للتصدير ، ذلك لأن فروع الشركات متعددة الجنسيات بصفة خاصة غالباً لا تهتم بالقيام بعمليات التصدير حيث تترك دراسة عمليات التصدير لتتولى تنفيذها الشركة الأم .

ان معوقات التصدير في الدول النامية يمكن ان تتأثر ايضا باستراتيجية التصنيع باحلال الواردات المتبعة في معظم الدول النامية ، والتي كانت السبيل الوحيد لبدء التصنيع في الدول النامية واستهداف نمو اقتصادي متسارع بزيادة مستوى التشغيل . غير أننا نجد هذا المفهوم قد جرى اهماله في كثير من الدول النامية ، خاصة اذا علمنا أن جوهر استراتيجية احلال الواردات هو تحقيق درجة عالية من التخصص عن طريق تشجيع الاستثمار في ظل اجراءات الحماية مع عدم الاخلال بأسس الكفاءة الاقتصادية . وهذا الهدف يتضمن ان الصناعات القائمة فعلاً تصبح قادرة على المنافسة في المدى المتوسط أيضا بدون أسوار الحماية . وترفع الحماية عن الصناعات المختلفة حالما تصل الى مرحلة النضج والقدرة على المنافسة . وبذلك ترتفع درجة المنافسة الخارجية في السعر والجودة ، فيشتد ضغط المنافسة ويتحتم توظيف كل الامكانات لرفع الانتاجية .

وعندما يتحقق ذلك فان الوضع سيظل أقل ربحية للمنتجين المحليين الذين يقتصرون على تصريف انتاجهم فقط في السوق المحلية . ومع ذلك فانه بالرغم من توقعات الربح فان الانتاج للسوق المحلية في ظل سعر صرف ثابت غالباً ما يكون أكثر جاذبية للمستثمر المحلى من تصريف انتاجه في أسواق التصدير .

ان تكاليف الانتاج التي يتحملها المصدرون تكون أعلى منها لدى المنافسين

الأجانب ، لأن الحماية الباقية تفرض ضرائب جمركية على الانتاج المحلى والمستورد ، غير انه يجب حساب عمليات التصدير بأسعار السوق العالمية التي تعكس في نفس الوقت أسعار التجارة الحرة ، وبذلك لا يوجد مجال لنقل عبء هذه الضرائب الجمركية . وذلك يعني ان علاقة العائد / التكلفة في صناعات احلال الواردات أكثر ملاءمة من صناعات التصدير ، ومن هنا يتضح الغبن والتفرقة التي يتعرض لها منتجو سلع التصدير بالقياس الى منتجي سلع احلال الواردات، وكأنه يجب عليهم تحقيق مستوى القدرة التنافسية أكثر مما هو مطلوب عادة لكي يصبحوا قادرين على المنافسة في ظل الظروف العادية . والدراسات العملية التي أجراها بلا بلاسا عن العديد من الدول النامية تثبت أنه يقع ضرر فادح على المنتجات الصناعية بسبب سياسة الحماية ضد الواردات ، وذلك لا يعني الا ان المنتجات التي يمكن تصديرها في ظل سعر صرف حر لايمكن تصديرها لأن الغلو في تقدير قيمة العملة المحلية الملازم لاجراءات الحماية يجعل الصادرات الوطنية مرتفعة الثمن بطريقة مصطنعة . وتكون النتيجة الحتمية لذلك فقدان الكفاءة والفعالية للمنتجين في الدول النامية، ويصبح من المستحيل تجاوز هذا الوضع الا بخلق الظروف المناسبة للتصدير.,

تجربة النمو الآسيوية في تشجيع الصارات :

نهضت كل من كوريا الجنوبية وهونج كونج وسنغافورة وتايوان اقتصاديا في العقود الثلاث الماضية ، ثم تبعتها دول آسيوية أخرى ، وذلك بفضل اتباع استراتيجية تشجيع الصادرات . وأصبحت مصطلحات مثل « النمور الآسيوية » و« البلاد الصناعية الجديدة » من مفردات القاموس الاقتصادي والسياسي . ونجد أن منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية DECD تطلق عليها لقب « الاقتصاديات الديناميكية في آسيا » Dynamic Asian Economies .

وهذه الدول الصناعية الجديدة خاصة في آسيا تواجه تحديات وتغييرات في بنية الاقتصاد والسياسة في العالم . ولعل أهمها التغيرات السياسية المتلاحقة في شرق ووسط أوربا بعد انهيار الاتحاد السوفيتي .

ومن الواضح أن القوى والمراكز الاقتصادية التقليدية تقل قوتها في الاقتصاد العالمي لصالح مراكز اقتصادية جديدة وقوى ، تصادية اقليمية طموحة في منطقة حوض المحيط الباسفيكي . وأدى تقسيم العمل الدولي الى تغيير منظورها الاقتصادي على المستويين الاقليمي والقطاعي ويبدأ دور القوى الاقتصادية والسياسية التقليدية في التراجع ويقل تأثيرها . ان أفكاراً اقتصادية وسياسية سيطرت على الساحة العالمية لعدة عقود تفقد الآن أهميتها ، فمثلاً فكرة الصراع بين الشرق والغرب تغيرت او تكاد أن تتلاشي بانهيار الكتلة السوفييتية ، أما فكرة الصراع بين الشمال والجنوب فتحتاج الى اعادة نظر . ان البشرية في كافة بقاع الارض تحتاج الى فكر جديد . ولا يوجد حتى الآن حسم نهائي لصالح فكر جديد يلائم التغيير الذي يجري في الواقع الاقتصادي والسياسي العالمي .

ويمكن القول بأن العلاقات الاقتصادية والسياسية الدولية في الفترة مابين نهاية الحرب العالمية الثانية ونهاية الحرب الباردة بسقوط حائط برلين عام ١٩٨٩م قد تميز بمفهومين هما الاعتماد المتبادل على مستوى العالم وتعدد الاقطاب الاقتصادية في العالم ، وسنتناولها فيما يلي : -

أولاً : الاعتماد المتبادل على مستوى العالم :

يزداد كل يوم تقارب والتحام عالمنا المعاصر وذلك بفضل تقدم وسائل المواصلات والاتصالات ونظم المعلومات ، ويكاد يتحقق أكبر اندماج في الاقتصاد العالمي بصورة لم يمكن توقعها من قبل . ويبدو ذلك بشكل واضح في التجارة الدولية التي تنمو بسرعة مذهلة في العقود الثلاث الماضية حيث كان معدل نمو

التجارة الدولية يفوق معدل نمو الانتاج العالمي ، وبذلك أصبح الاقتصاد القومي جزءاً لا يتجزأ من الاقتصاد العالمي .

ويبدو أن الدولة القومية بدأت تفقد وظيفتها في المجال السياسي وسبق أن اصبح ذلك حقيقة على المستوى الاقتصادي. فلا يستطيع اقتصاد أية دولة اليوم أن ينعزل عن العلاقات الاقتصادية الدولية المتشابكة من الاعتماد المتبادل دون ان يضحي ويغامر برفاهية مواطنيه .

وهذه التبعية تمتد الى كافة فروع الاقتصاد وتتجلي بصورة أوضح في مسائل البيئة حيث يركب العالم سفينة واحدة . مثال آخر السياسة الزراعية للدول الصناعية والتي تؤثر سلباً على مشكلة ديون العالم الثالث ، أيضا سياسة الحماية التي تتبعها الدول الصناعية ضد منتجات الدول النامية خاصة المنسوجات ومنتجات الصلب .

هذه المظاهر للتبعية والاعتماد المتبادل يجب ملاحظتها وذلك حتى يمكن تجنب الأزمات ومعالجة الآثار الناتجة عنها . فسياسة الحماية التي تتبعها الدول الصناعية ضد صادرات الدول النامية تضر باقتصاديات الدول النامية وتقلل بطريقة غير مباشرة من قدرتها الاستيعابية للتصنيع والتحديث الاقتصادي فتضعف بالتالي قدرتها على التصدير .

ثانياً : تعدد القطبية :

تلك السمة الثانية البارزة بعد انتهاء فترة الحرب الباردة وتعني تطور اتجاه نحو تعدد القطبية في توازن جديد لنظام القوة فى العالم . لقد كان نظام القوة العسكرية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية بزعامة المعسكرين الأمريكي والسوفيتي ، وقبل انهيار الكتلة السوفيتية كان من الواضح الاتجاه نحو تعدد أقطاب القوة الاقتصادية في العالم، فتدل أرقام تطور الانجاز الاقتصادي الكلي في العالم الغربي الى انخفاض قدرة الولايات المتحدة الامريكية من النصف في بداية الخمسينات الى نحو الثالث في نهاية الثمانينات ، بينما

الاداء الاقتصادي في اليابان لنفس الفترة قد تزايد بنحو خمسة أضعاف ، بينما الانجاز في أوربا بقي ثابتا تقريباً لحد ما. وهذا الكلام يصح فقط طبقاً لمعايير اقتصادية بحتة ، أما من وجهة النظر السياسية فيوجد تقييم آخر بلا شك . وبناء على ذلك يمكن القول بأن المجموعة الاقتصادية الاوربية أصبحت تكتسب وضعاً سياسياً متميزاً حيث تتطور نحو الوحدة السياسية، وبذلك تزيد مسئوليتها تجاه الاقتصاد والسياسة العالميتين .

ان الاتجاه نحو تعدد اقطاب الاقتصاد العالمي سيكون من مصلحة جميع الاطراف بما فيها العالم النامي ومن جهة أخرى فان التوزيع المتوازن للقوى في القطبية المتعددة سيمثل ضغطاً للاتجاه نحو مزيد من التعاون الدولي مما سيؤدي الى احتمال تحقيق قدر كبير من الاستقرار الاقتصادي العالمي . ان التحول من نظام اقتصادي عالمي تهيمن عليه قوة اقتصادية وحيدة وهي الولايات المتحدة الى نظام تتعدد فيه القوى الاقتصادية بانضمام اليابان والمانيا لم يكتمل بعد ، حيث يمكن للدول الصناعية الجديدة في آسيا او النمور الصغيرة أن تنضم الى هذا النظام .

ويمكن القول ان النظام السياسي العالمي كان في فترة الحرب الباردة ثنائي القطبية العسكرية والسياسية بينما كان اقتصادياً احادي القطبية بقيادة الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة ثم تدرج الى تعدد القطبية الاقتصادية بنهوض اليابان والمانيا والسوق الأوربية .

ان قيام مراكز اقتصادية صناعية جديدة في آسيا على الجانب الغربي للمحيط الهادي تعتبر احد أركان وعلامات في بنية النظام الاقتصادي العالمي في العقد الاخير لهذا القرن وبداية القرن الواحد والعشرين . والارقام عن ذلك ذات دلالة كبيرة فنجد أن أهم دول حوض الباسفيك (استراليا واليابان ونيوزيلندا وهونج كونج وسنغافورة وكوريا الجنوبية وتايوان واندونيسيا وماليزيا والفلبين) قد نجحت في

مضاعفة نصيبها من الناتج العالمي منذ منتصف السبعينات وحتى نهاية الثمانينات . وتعود خمس الزيادة المطلقة للانتاج العالمي من السلع والخدمات في تلك الفترة الي هذه الدول ، وايضا بدون أخذ اليابان في الحسبان فان هذه المنطقة يحسب لها نهوض اقتصادي سريع بالمقارنة بغرب أوربا والولايات المتحدة .

النمور الاسيوية تغزو السوق العالمية :

يتميز التطور الاقتصادي في البلاد الصناعية الجديدة مثل النمور الآسيوية بان القوة الدافعة له تتمثل في عملية التصنيع المتجه للتصدير ، وقيام هذه الدول بنجاح في غزو الاسواق العالمية وتحقيق معجزة اقتصادية .

ويبدو أن النمور الآسيوية قد حققت طفرات اقتصادية بعد انتهاء الدور الاقتصادي القيادي للولايات المتحدة تجاه أوربا وايضا نهاية الدور القيادي لليابان في منطقة حوض المحيط الهادي ويتضح ذلك ان منتجات النمور الآسيوية الأربعة من الالكترونيات وأجزاء الكمبيوتر والتليفزيون والفيديو والسيارات قد غزت أسواقاً كانت الي وقت قريب تنفرد بها منتجات اليابان .

والانجاز الاقتصادي الذي حققه النمور الاربعه هو أكبر برهان على ان عملية تطور الاقتصاد العالمي ترتبط دائماً بطفرات ليس فقط بين الدول وانما أيضا بين تكتلات اقتصادية ، والنجاح الذي حققته الدول الآسيوية الأربعة يعد أكبر قصة نجاح في التاريخ الاقتصادي الحديث ويمكن تفسير ذلك بذكر الحقائق التالية :

ـ بلغت صادرات الدول الصناعية الجديدة الأربعة عام ١٩٩٢م نحو ٨٪ من صادرات العالم وبذلك فهي تأتي في المرتبة الرابعة بعد ألمانيا والولايات المتحدة واليابان .

ـ نصيبها من التجارة العالمية تضاعف منذ منتصف الستينات حتي نهاية الثمانينات نحو خمس مرات .

ـ تنبأت دراسات لصندوق النقد الدولي بأن التجارة الخارجية للنمور الآسيوية الأربعة سيستمر توسعها بشدة

في السوق العالمية .

إن نجاح هذه الدول في التصدير ينسي البعض بسهولة ، ان اسواقها ستصبح ايضا أسواقاً هامة للاستيراد ، والدليل على ذلك ان هذه الدول تحتل المرتبة الثالثة في الاستيراد العالمي بعد ألمانيا وأمريكا وذلك في الترتيب قبل بريطانيا واليابان وفرنسا .

وعندما يتساءل المرء عن أسباب نجاح هذه الدول في تحقيق تنمية سريعة وانجازات اقتصادية كبيرة فليس من السهل الإجابة على هذا السؤال بسبب التنوع والاختلاف في التركيب الحضاري لهذه المجموعة من الدول . ولكن هناك نقاط تشابه وعوامل مشتركة يمكن تبينها في هذه الدول وهي :

- اتباع استراتيجية تتجه نحو التصدير والتي تتناقض مع سياسة احلال الواردات والاتجاه نحو السوق المحلية ، والتي اتبعت في كثير من الدول النامية ومنها مصر .
- توفر درجة عالية من الاستقرار السياسي في هذه الدول .
- توفر الكتلة الحرجة الضرورية من رأس المال البشري .
- توفر عوامل أخلاقية في التعاليم الكونفوشسية تدعو الى فضائل التوفير والادخار والاخلاص في العمل وحسب النظام واحترام ذوي السلطة .
- لا يجب ايضا نسيان عوامل مشتركة تتمثل في تقديم الدعم الحكومي للقطاع الخاص والحد من الواردات في بداية التصنيع ، لكنها تلاشت بعد ذلك .

جدول (١) : تطور معدل النمو الحقيقي للناتج القومي والصادرات
للدول الصناعية الجديدة في آسيا في الفترة ١٩٨٠ـ ١٩٩٢م (نسبة مئوية)

البلد	الناتج القومي الاجمالي (٪)	الصادرات (٪)
كوريا الجنوبية	٨١	١٥٤
تايوان	٦٩	١٤٠
هونج كونج	٦٢	١٤٠
سنغافورة	٤٩	٨١
الدول الصناعية الغربية (للمقارنة)	١٩٪	٢٩٪

المصدر : Globus 1993

المنافسة الاقتصادية تجبر على التقدم

ان الدول الصناعية الجديدة قادرة على المنافسة وتغزو منتجاتها الاسواق العالمية ، وذلك يمثل انجازاً تستطيع الدول النامية ان تقتدي به وخاصة تلك الدول التي تمتلك قاعدة صناعية وخبرة في التحديث الاقتصادي مثل مصر ، ومن جهة أخرى يمثل انجاز النمور الآسيوية تحديا جديداً للدول الصناعية التقليدية في غرب أوربا وسيفتح المنافسة أكثر حدة من ذي قبل ، وذلك وحده سيجبر على التكيف . وتسير عملية التكيف وتكون واجبة في الهياكل الاقتصادية الأقل مرونة والتي لا تخلو من انكسارات ، وبصفة خاصة في الفروع الاقتصادية التي توجد بها مشكلات عمالة والتي تعمل في ظل حماية أو تقاوم التغيير . ويبدو ذلك صحيحاً عندما تبدو المنافسة غير شريفة من وجهة نظر القادمين الجدد .

وتوجد مخاطر كثيرة في الموقف الدفاعي تجاه تغيير هيكل الاقتصاد العالمي . هذه ضغوط ترغم على التكيف

الهيكلي ولا تسمح لأحد الاطراف الفكاك منها لو حاول بمفرده الانسحاب من شبكة التبعية المتبادلة ، فذلك قد يمثل تخففا من هذه الضغوط في الأجل القصير ، اما في الأجل الطويل فان هذا الاسلوب سيؤدي الى تدهور اقتصادي عالمي .

ان المصارحة والاستعداد للتعاون على اساس قواعد جديدة تتميز بتعدد القطبية الاقتصادية ينبغي أن تحدد طبيعة العلاقة بين الدول الصناعية القديمة والجديدة ، ويجب النظر الى الدول الصناعية الجديدة كأطراف على قدم المساواة في حلبة المنافسة السليمة في الاقتصاد العالمي ، والقاعدة العامة المقبولة إنشاء إطار للمنافسة حول أقسام من السوق واحتلال مراكز القمة في التكنولوجيا ، وعلى نفس المستوى يجب التأكيد على ضرورة ردع الخروج على هذه القواعد .

رفع القدرة التنافسية في السوق العالمية :

وتشيد مختلف المدارس الاقتصادية بتجربة النمور الآسيوية ، فيري أنصار مدرسة الليبرالية الجديدة ان النمور الأسيوية حققت نجاحها باتباعها اسس اقتصاد السوق وسياسة تجارة خارجية متحررة ، وعلى بقية الدول النامية أن تحذو حذوها وتقتدي بنموذج المنافسة الاقتصادية الحرة وأن تندمج في الاقتصاد العالمي (٤) .

ومن جهة أخرى فان ممثلي مدرسة أمريكا اللاتينية أو ما يطلق عليها أحياناً المدرسة الهيكلية أو نظرية التخلف والتبعية ، يصلون الى نتائج تختلف تماماً عن آراء الاقتصاديين الليبراليين ، ويرون أن النجاح الذي تحققه النمور الأسيوية خاصة كوريا وتايوان هو قبل كل شيء نتيجة لتطبيق منهج للتحول الاقتصادي والاجتماعي في هذه الدول يقوم على مفهوم التخطيط الاستراتيجي . وعلى الدول النامية التي تريد اللحاق بانتاج السلع الصناعية المتداولة في السوق العالمية ان ترتبط بتوجهات السوق والتخطيط وأن تتبع استراتيجية مزدوجة تتضمن احلال الواردات وتشجيع الصادرات (٥)

الصادرات الصناعية وبناء هيكل اقتصادي متنوع :

يمكن القول أنه منذ بداية الستينات بدأت كوريا وتايوان اتباع استراتيجية تنمية تعتمد على الصادرات الصناعية ، وقبلها أثناء الحرب العالمية الثانية وبعد الحرب الكورية ١٩٥٠- ١٩٥٣ اعتمدت على سياسة تصنيع تعتمد على احلال الواردات واصلاح الصناعات التي دمرتها الحرب . ولعل التحول من استراتيجية احلال الواردات الى تشجيع الصادرات تم تحت ضغط وتشجيع من الولايات المتحدة الامريكية للنهوض باقتصاديات الدول غير الشيوعية في جنوب آسيا وادماجها في الاقتصاد العالمي . وبسبب ضيق السوق المحلية وندرة الموارد الطبيعية اقتنعت كل من كوريا وتايوان بان فعالية استراتيجية احلال الواردات ستكون محدودة وقاصرة في المدى الطويل عن احداث تنمية سريعة شاملة ، وفي عملية التحول الى تشجيع الصادرات لم تلجأ هذه الدول فقط الى التخصص في صناعات معينة لها ميزات نسبية وتحقق الرفاهية الاقتصادية ، وانما كانت صناعات التصدير أكثر من ذلك عنصراً استراتيجياً لارساء قاعدة صناعية قوية ، لذلك فقد استهدفت صناعات التصدير ما يلي : -

- توفير عملات صعبة لتمويل استيراد سلع رأسمالية ومواد خام .
- امكان تطوير قطاعات الصناعة ذات مزايا الانتاج الواسع الكبير في ظل احلال الواردات الى صناعات تصدير .
- ان تمكن هذه الصناعات من قيام عمليات ربط ديناميكي بين توسع السوق المحلية واحلال الواردات والانتاج للتصدير.

ونتج عما سبق انه بعد انشاء صناعات استهلاكية في بداية الستينات لحقها انشاء صناعات ادوات انتاج وصناعات كيماوية وصناعة السلع الرأسمالية ، وذلك بدعم حكومي قوي . وهناك عامل جوهري آخر كسبب للتنمية السريعة القوية في كورياً وتايوان وتتمثل في قدرة متخذي القرارات في الدولة والاقتصاد على ادراك التغيرات المستقلة والتابعة في الوقت المناسب وتوفر

المعلومات والسياسات الاطارية والاستعداد لأي تغيير أو انحراف عن الخط الاستراتيجي . في السبعينات كان هناك ادراك كبير في كوريا وتايوان أدى الى ضرورة تعديل مسار استراتيجية التصنيع ، لقد كانت وجهة النظر ان مسار علاقات القوى في الاقتصاد العالمي تمثل مرحلة تحول وانتقال من مفاهيم النمو القائمة على التوسع الى أخرى تقوم على التركيز ، أو بمعنى آخر ضرورة الانتقال الى نماذج للنمو ترتكز على الانتاجية المرتفعة والتكنولوجيا الراقية . فمن جهة ظهر الخطر بأن دولاً نامية مثل الصين والهند والباكستان أصبحت تستفيد من مزايا نسبية لديها بالاستفادة من انخفاض تكلفة عنصر العمل لديها . ومن جهة أخرى فان الدول الصناعية الكبرى تحاول من خلال استخدام شامل لأساليب انتاج راقية وتضم إدارية حديثة أن تكتسب مواقع تنافسية سبق أن فقدتها من قبل . أي أن كوريا وتايوان وجدتا نفسيهما بين شقي الرحى ، وهذا الوضع المزدوج

هو الذي دفع بهما الى تبني عملية تحديث تكنولوجي شامل للقطاعات الصناعية بهما منذ نهاية السبعينات ، وفي نهاية الثمانينات ظهرت نتائج ايجابية لهذه السياسة ، في عام ١٩٨٩م على سبيل المقال كان الانفاق على التحديث والتطوير التكنولوجي يبلغ نحو ٢٪ من الناتج القومي الاجمالي ، ثم ارتفع الى ٣٪ في بداية التسعينات ويمثل هذا الجزء تقريباً مستوى انفاق دول صناعية كبرى على البحث والتطوير مثل المانيا واليابان والولايات المتحدة وبالاضافة الي ذلك فقد تم البدء في انشاء نظم للاختراع والتجديد في كوريا وتايوان تتمشي مع أرقى النظم المتبعة في الدول الصناعية المتقدمة خاصة اليابان .

والجدير بالذكر في هذا المجال مايلي:

ـ وجود تعاون وثيق بين الدولة والاقتصاد والبحث العلمي من أجل ارساء وتقوية قاعدة من البحث والتطوير .

ـ وضع استراتيجيات تهدف الى

استخدام متوازن وعملي لأهم طرق التكنولوجيا الرائدة في ظل استخدام مركز للقدرات الاجنبية للبحث والتطوير .

ـ ارتباط وثيق بين سياسات التصنيع والتكنولوجيا والتجارة الخارجية .

أيضا بالنسبة للمستقبل فانه يمكن القول بأن كوريا وتايوان ستواصلان استراتيجية الاستهداف الصناعي In-dustrial Targeting والتدخل من الدولة من اجل التحديث التكنولوجي وذلك من اجل تجاوز الفجوة التكنولوجية بينها وبين الدول الصناعية العملاقة حتى منتصف التسعينات .

اسباب القدرات الاستراتيجية المرتفعة :

توجد اسباب وجيهة تشرح لنا لماذا كان نجاح التنمية في كوريا وتايوان نتيجة مباشرة للتحول التكنولوجي والصناعي الواعي والمخطط ، ويسمى هذا ان الاداء المتميز للدول الصناعية الجديدة في آسيا وأمريكا اللاتينية يمكن ارجاعه أساساً الى قدرات مختلفة ومتميزة للتخطيط . مثل هذا الاستنتاج سيكون متعجلاً ، والاجابة على التساؤل لماذا الدول الصناعية الجديدة في آسيا أكثر مقدرة منها في امريكا اللاتينية وأسبق في التكيف مع التغيرات في الاقتصاد العالمي ، ذلك يتطلب شرحاً مستفيضاً ليس هذا مكانه ، ولكن يمكن الحديث عن بعض العوامل التي ربما ساعدت على احداث معجزات التصدير في كل من كوريا وتايوان ، ولها أهمها مايلي : ـ

ـ زيادة الضغوط الخارجية على كلا البلدين بسبب وضعهما الجيوبولوتيكي مما عجل من سرعة الاتجاه نحو أمريكا واليابان .

ـ قلة الموارد وانخفاض عدد السكان جعل بدائل اختيار استراتيجية التنمية محدوداً للغاية ويكاد ينحصر في اتجاه الصناعة نحو التصدير .

ـ تركز السلطة في وقت مبكر في يد الصفوة المستنيرة لأهمية التصنيع وتميزها بقدرة فائقة على الانجاز كما أنها استحوذت على السلطة مبكراً ، وذلك أدى الى توجيه السياسة الاقتصادية

للمنافسة في السوق العالمية على أساس انخفاض مستوى الأجور وتجنب اثارة القضايا الاجتماعية لبعض الوقت .

ـ القرب الجغرافي والحضاري من اليابان الذي كان له بمثابة القدوة .

وبسبب أزمة الديون في امريكا اللاتينية فان تطور الصناعة الى مستوى المنافسة العالمية اكتنفته بعض الصعوبات. ولعل ذلك يمكن تفسيره بعدم توفر الظروف المحلية والعالمية الدافعة للتنمية . وكان من الصعب بل من المخاطرة الاقتناع بالثقة في آليات السوق الحرة وسياسة حرة للتجارة الخارجية وفي نفس الوقت التنازل عن استراتيجية التشكيل النشط والفعال للهيكل الاقتصادي ليتكيف مع وضع اقتصادي جديد .

إدارة الوقت*

د. / أحمد بن حماد الحمود

معهد الادارة العامة ـ الرياض

مقدمة :

حينما قدمت المديرية العامة للدفاع المدني مشكورة الدعوة لي بإلقاء محاضرة في مؤتمر الدفاع المدني السنوي ، والذي سيعقد في هذه المدينة عن موضوع ملائم للمؤتمر يتعلق بحقل الإدارة العامة ومفاهيمها الحديثة سعدت كثيراً ، واعتقدت أنها فرصة لابن من أبناء هذه المنطقة يستطيع من خلالها أن يرد بعض الجميل لها . ومن أجل هذا توخيت الحذر فيما عساي أن أقول في هذا المؤتمر من مواضيع متداخلة ومعقدة في حقل الإدارة العامة ، آملا في حذري هذا أن أقدم ماهو مفيد وملائم للحدث ، وبذلك أستطيع أن أوفي المقام حقه .

ولكن ، في حقيقة الأمر ، لا أخفيكم تعبي حينما حاولت الشروع في الكتابة ، وحيرتي التي أوهنت قدرتي على تحديد الموضوع الملائم لمثل هذا الحدث مكاناً ، وزمانا ، ومضمونا . وحينما تأتي هذه الحيرة من رجل ممارس لحقل الإدارة العامة وباحث فيها ، ومدرس لها ، فأن هذه الحيرة تكون بلاشك في خانة اللاقبول من قبل الكثيرين ... وهنا تضاعفت المعاناة وخصوصاً أن ليس هناك نقص بالمواضيع التي يمكن الاختيار منها .

(*) محاضرة ألقيت .. ضمن فعاليات مؤتمر الدفاع المدني الثالث عشر بعنوان الواقع بين التخطيط والتنفيذ والمقام في الجوف خلال الفترة من ١٢ ـ ١٥ شوال ١٤١٦هـ .

ولكن لهذه الحيرة ، من وجهة نظري ، ما يبررها ، وهنا سأورد بعض الأسباب التي آمل أن تشفع لي في حيرتي هذه . ففيما يتعلق بالمكان ، فمجيئى لمنطقة الجوف زائراً رسمياً لألقي محاضرة في مؤتمر يعقد فيها يبعث بداخلي شجوناً وهموماً وذكريات كثيرة ومتعددة ، ويطرح أمامي خارطة تاريخية تمتد على بساط من السنين يغطي مامجموعه سنوات عمري بكاملها وذلك منذ تاريخ ميلادي في أحد أحياء سكاكا الغربيه . ومن ثم دراستي فيها مروراً في مدرسة العزيزية الابتدائية (التي كانت تمثل واحدة من أربع مدارس ابتدائية أخرى في المدينة) ومرورا بابن القيم المتوسطة (التي كانت تمثل واحدة من مدرستين متوسطتين في المدينة) وانتهاء بثانوية الجوف التي كانت تمثل الثانوية الوحيدة في المنطقة حينئذ . وحيث أن ذكريات السنوات الأولى من حياة الإنسان . وهي التي تمثل مرحلتي الطفولة والشباب ، تبقى خالدة في الذاكرة ينكص لها الشخص في أوقات متعددة ، فإن هذه الفترة بالنسبة لي أوجدت نوعاً من الحب لهذه المنطقة وهو جزء لا يتجزأ من حبنا لهذا الوطن الذي نعتز به جميعاً اذا فالمكان له خصوصية معينة . وهذه الخصوصية تتمثل بأن هذا الابن يريد أن يأتي لمنطقته في أول زيارة رسمية لها ، وبفمه شيء يستحق السماع من أهله وجماعته وقد تغيرت بهم الأحوال ، وأصبح الابن بعد عشرين عاماً من الغياب، والذي كان يعرف خفايا المدينة ، يحتاج الي مرشد يدله على معالمها . وهذا سبب مشروع في اعتقادي لتلك الحيرة .. فما هو الموضوع الذي عساي أن أحمله بفمي ويستحق السماع من أهل أعزاء مشهود لهم بالنباهة والدراية ويكون ذا قيمة وفائدة ويعطي المقام حقه ؟ .

أما بالنسبة لعامل الزمان وعلاقته بالحيرة هذه ، فنحن نبعد فقط بأقل من خمس سنوات عن عام الألفين أو بداية القرن الواحد والعشرين ، وحقل الإدارة العامة يواجه كثيراً من التحديات التي تفرض عليه محلياً وعالمياً ومطالب بأن يرتفع إلى مستوى التوقعات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والمعلوماتية والتقنية التي يفرضها عليه هذا الضيف القادم (القرن الواحد والعشرين) . ويؤكد هذا المطلب في أكثر من مناسبة صناع السياسة العامة من أعلى قمة الهرم السياسي في هذه البلاد . فالوصول إلى بوابة القرن الواحد والعشرين مع بقية الأمم الأخرى يتطلب تركيبة معقدة من المعارف والمهارات والقدرات والحس والإدراك والبصيرة وبعد النظر لهؤلاء الأشخاص الذين يقومون بصياغة برامج الخدمة العامة ويشرفون على تنفيذها وتقييمها بشكل يفوق بمسافات تلك التركيبة التي تعودنا عليها سالفا . إذا ، وهذا هو المستوى المعقد للتركيبة المطلوبة للوصول لبوابة القرن الواحد والعشرين ، فما بالك إذا كانت النية السياسية والاجتماعية لهذه البلاد تؤكد وبشكل قاطع وعلى أكثر من صعيد بأن الرغبة لا تتوقف فقط عند الوصول إلى بوابة هذا القرن ، بل ولوج هذه البوابة مع من يستطيع أن يلجها من الأمم الأخرى. إذا ، فتلك التركيبة المطلوبة لوصول بوابة القرن الواحد والعشرين تتضاعف تعقداً وعمقاً كمطلب أساسي لولوج بوابته . إن تحليلنا للخطاب السياسي والاجتماعي والتنموي والاستشرافي لهذه البلاد يؤكد بشكل قاطع أن لنا رغبة أكيدة ومشروعة ليس فقط للوصول لبوابة القرن الواحد والعشرين وولوجها ، بل ولوجها ونحن في حالة تعسفنا من تعظيم قدراتنا للاستثمار والاستفادة من مجمل الفرص المتناثرة في سماء وأرض بطاقة الدخول لهذه البوابة وذلك بما يخدم مصالحنا في حقبة هذا الضيف القادم . إذا ، والحال هكذا ، فان تلك التركيبة تتضاعف ثلاث ورباع ، عمقا وتعقيداً وتشعباً وذلك

كمطلب أساسي لتعظيم قدرتنا للاستفادة من مجمل تلك الفرص المتناثرة في أرض وسماء القرن القادم [1] .

هكذا .. إذا فعامل الزمان الذي يعقد فيه هذا المؤتمر يبرر في اعتقادي حيرتي فيما عساي أن أقول متحدثاً . أي من تلك العناصر التي تساهم في تكوين تلك التركيبة المعقدة المطلوبة لولوجنا واستثمارنا للقرن القادم أختار كموضوع للكتابة والحديث عنه . هل أتخذ المنظور الكلي للحديث عن الإدارة العامة في الحقبة القادمة وشروط فعاليتها ضمن هذه المعطيات التي تحدثنا عنها ؟ ويالها من موضوعات كثيرة ومهمة . أم اختار المنظور الجزئي لتحديد مسار حديثي ؟ وفي حالة اختياري للمنظور الجزئي فما عساي أن أكون مختاراً من موضوعات تتزاحم في جميع المستويات المختلفة لهذا المنظور ؟ وفي أي من تلك الحالتين ، ماهو الموضوع الذي يكون ملائماً للزمان الذي يعقد فيه هذا المؤتمر ؟

اما من حيث المحتوى ، فأيضاً هناك ما يبرر حيرتي . فالمؤتمر تنظمه المديرية العامة للدفاع المدني التي هي بمثابة أحد الأجهزة الحكومية التي تقدم خدمة عامة جليلة تمس أمن وسلامة كل فرد من أفراد هذه الأمة . والمديرية العامة للدفاع المدني تشترك في كثير من الهموم الإدارية التي تتميز بها بقية الأجهزة ، ولكن أيضا لها خصوصيتها ، سواء فيما يتعلق بإدارة الأزمات ، إدارة الكوارث ، أو بما أسميه شخصياً إدارة الاستعداد المتواصل (ولعل هذه التسمية تجد قبولاً لدى زملائنا في الدفاع المدني) حيث تتطلب طبيعة الفعل وردة الفعل في هذا النوع من الإدارة سرعة فائقة في عملية اتخاذ القرار والاستجابة الفورية للحدث في غضون دقائق وثوان ، والقدرة الفورية على تقييم المستجدات المتتالية في الحدث ذاته والتي عادة ماتحدث بشكل مربك ومذهل لمتخذ القرار الفوري ، وكذلك القدرة على تحديد أوزان أهمية هذه الأحداث المستجدة وتحديد طبيعة القرار

الذي يجب اتخاذه في خضم قائمة من الأحداث التي تحدث بشكل مربك ومفاجي وتتساوي في الأهمية .كل واحدة من هذه الخصائص بلاشك تستحق التفكير والتأمل والكتابة والبحث والحديث عنها . اذا ، ترى أي من هذه الموضوعات التي تتعلق بمحتوى هذا المؤتمر أختار ؟ انني أعتقد أن هذا البعد أيضا يبرر حيرتي في أى من المواضيع يكون الاختيار .

بعد هذه المقدمة المطولة عن حيرتي في اختيار الموضوع الملائم ساعدتني المديرية العامة للدفاع المدني بتحديد الموقف حينما طلب مني الزميل العقيد سليمان الربيعان من الإدارة العامة للشئون الثقافية في الدفاع المدني أن يكون الموضوع الذي سأتناوله يتعلق بإدارة الوقت . ومع أنني قمت بإلقاء المحاضرات عن إدارة الوقت في كل من الرياض وجدة والدمام عن طريق الحلقات التطبيقية التي ينفذها معهد الإدارة العامة لكبار موظفي الدولة والقطاع الخاص ، وألقيت محاضرة عن إدارة الوقت في المعهد الثقافي في الرياض، الا أن إدارة الوقت ليست من الموضوعات التي تستهويني كثيراً وخصوصاً أن هناك من هو أقدر مني في هذا المجال. على كل حال ، وجدت رغبة المديرية العامة للدفاع المدني عاملاً حاسماً بإنهاء حيرتي ولعلي أقدم ماهو لائق بهذا الحدث . أخيراً ، ربما يكون اختيار هذا الموضوع من قبل المديرية العامة للدفاع المدني له ما يبرره حيث أنه يعتبر عنصراً حاسماً تتداخل خيوطه ضمن نسيج الأبعاد الثلاثة (المكان ، الزمان ، والمحتوى) التى تحدثنا عنها كمبرر لتلك الحيرة .

ماهية إدارة الوقت :

لاشك أن تاريخنا ثري بالتراث الذي يؤكد أهمية الوقت واستغلاله على أفضل وجه ، ويلخص زميلي الأستاذ ناصر العديلي بعضاً من هذه الحقائق بقوله :

(حثنا الدين الاسلامي الحنيف على الاهتمام في الوقت واستثماره في العبادة والأشياء النافعة. يقول تعالى « والعصر إن الانسان لفي خسر. إلا

الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر » (سورة العصر) ؛ وقال عليه أفضل الصلاة والسلام : « اغتنم خمسا قبل خمس : حياتك قبل موتك ، وصحتك قبل سقمك ، وفراغك قبل شغلك ، وشبابك قبل هرمك ، وغناك قبل فراغك » ويقول الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه: « إن الليل والنهار يعملان بك فاعمل فيهما » ويقول أحد السلف : «لوقلت أنى قرأت عشرين ألف مجلد لكان أكثر، ولا أزال في مرحلة الطلب . ويقول : كتبت بإصبعي هاتين ألفي مجلد» ولعل الشعراء العرب خير من عبر عن أهمية الوقت واستثماره ، يقول الشاعر أحمد شوقي : دقات قلب المرء قائلة له .. إن الحياة دقائق وثوان ، ويحذر شاعر عربي أخر من سهولة ضياع الوقت رغم أهميته:

والوقت أنفس ما عنيت بحفظه

وأراه أسهل ما عليك يضيع [٢])

ويقول الزميل العديلي « يعرف بنجامين فرانكلين الوقت بأنه تلك المادة التي صنعت منها الحياة » ويستطرد العديلي قائلاً « ويمكن تحديد ماهية الوقت على النحو التالي : الوقت هو الحياة ؛ الوقت لا يمكن شراءه ؛ الوقت لايمكن تجميعه ؛ الوقت لا يمكن تجزئته ؛ الوقت لا يمكن تخزينه ؛ الوقت لا يمكن استئجاره ؛ الوقت لا يمكن إطالته ؛ الوقت لا يمكن استبداله بشيء غيره ؛ الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك » [٣] ويتساءل جون أدير ماهو الوقت ؟ وكيف خرجت فكرة إدارة الوقت لحيز الوجود ؟ وماهي علاقة إدارة الوقت للحياة ككل ؟ ويستطرد أدير قائلاً : إنه ليس من السهل الإجابة على هذه الأسئلة ومن المحتمل أن يكون هذا هو السبب خلف تجاهل أغلبية كتب إدارة الوقت لها [٤]. ويضيف أدير قائلاً إن «الاحساس بالوقت على أنه عابر ومتلاش هو في الأساس من تكوين البشر حيث أنه حسب علمنا ، فإن الكائنات الأخرى لا تملك هذا الإحساس »[٥] ويشير الفيلسوف او قسطاين

إلى عمق المسألة المتعلقة بالوقت بقوله : [٦]
(فيما يتعلق بما هو الوقت؟ ومن يستطيع بسهولة واختصار أن يشرحه ؟ ومن يستطيع أن يستوعبه بفكرة يستطيع أن يعبر فيها عن علاقة وجوده بالوقت ؟ ومع هذا، لا يوجد شيء تعودنا عليه في حياتنا العادية ونشير له بوعي أكثر من الوقت ؟ بالتأكيد ، اننا نفهمه بشكل جيد حينما نتحدث عنه ؛ ونفهمه أيضاً جيداً حينما يتم ذكره من قبل شخص أخر . ولكن .. ماهو الوقت ؟ لو لم يسألني أحد فأنا أعرف : ولكنني إذا أردت أن أشرحه لشخص أخر يسألني ، فإنني بصدق وبصراحة لا أعرف) .

ويشير أدير بأن الأشياء لم تتغير كثيراً منذ أن كتب الفيلسوف او قسطاين كلماته . إننا نعرف ماذا نعني حينما نتكلم عن الوقت ، ولكننا بالتأكيد لا نستطيع أن نقول ماهو الوقت . لو كنت مسافراً بمعدل سرعة أعلى من سرعة شخص آخر ، فإن الوقت يذهب ببطء بالنسبة لك مقارنة بالشخص الأخر . ولو كنت مسافراً حول العالم بسرعة (٨٠٠) كيلو بالساعة وبجانبك ساعة ذرية ، فانك حينما ترجع الى النقطة التي انطلقت منها فسيكون وقت ساعتك أقل بجزء بسيط من الثانية عن وقت مثيلتها في الأرض . هذا الواقع تؤكده نظرية النسبية التي اكتشفها العالم انشتاين والتي أثارت في حينها كثيراً من التفكير والتأمل والجدل حول العلاقة بين بعدي الوقت والفضاء . هذه النظرية تتلخص بأنه كلما زادت السرعة ، ذهب الوقت ببطء . ولكن ، كما يقول أدير ، إن اكتشاف انشتاين لهذه النظرية لم يضف أي جديد لمفهومنا العام للوقت بسبب أننا لا نتحرك بتلك السرعة التي كانت بمخيلته في حياتنا العادية ، ولكنه بالتأكيد أضاف بعد آخر لتعقيد مفهوم الوقت [٧] .

إن أقرب شئ ممكن أن نصل إليه مع مصطلح الوقت هو أن ننظر له على أنه بعد من الأبعاد التي نتعامل معها في حياتنا ، مثل بعد الفضاء . البعد الذي

يحدث فيه التغيير حيث أن معدل التغيير يتفاوت من حالة إلى حالة وهذه حكمة إلهية . فالجبال تتكون وتزول خلال فترة تقاس بملايين السنين ، بينما يولد الإنسان ويموت خلال عقود بسيطة من الزمان . ولكوننا بشراً ، فإننا نميل في غالب الأحيان لقياس الوقت والتغيير قياسا بفترة الحياة التي نعيشها .

من هذا المنظور ، لو سألني شخص كم لك من الوقت خارج هذه المدينة ؟ لقلت سأجاوبك باختصار شديد لأنني لا أستطيع أن أحدده بشكل دقيق ولكن لي من الوقت خارج هذه المدينة أكثر من خمسين شارعاً ، وخمسة فنادق من ضمنها فندق ضخم ، وجامع فريد ، وثلاث مستشفيات ، وكليتان متوسطتان ، والعديد من المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية ، وشبكة هاتف ، وشبكة تلفزيون ، والعديد من المنازل ، والعديد من المزارع ، وغالبية من أوجه البشر التي لا أعرفها . وان بدأ ينظر لي بدهشة واستغراب ، أو ربما استخفاف ، لقلت له ما بالك يا رجل ؟ وأتخيله يقول لقد سألتك كم لك من المدة خارج هذه المدينة ؟ وأجدني قائلاً لقد أجبتك ياهذا ! ثم أراه قائلاً حدثني بما أفهم ! وأقول له عقدين من الزمن وبالتحديد منذ عام ١٣٩٦هـ .

الوقت من هذا المنظور هو مجمل الأحداث والتغيرات التي تحدث ، وبدون تغيرات أو أحداث ربما لا وجود لمصطلح الوقت في اللغة ، وكما يقول إدوارد يونج «الوقت المضاع هو البقاء ، والوقت المستثمر هو الحياة» [٨] وما قولي منذ عام ١٣٩٦ إلا مثل قول أبي وأمي منذ « سنة الربيع » « سنة العجاج » «سنة الجوع » ، والى آخره من أحداث تستخدم للدلالة على الوقت . حيث أن كلاً من سنة الربيع وسنة العجاج وسنة الجوع هي أحداث أخذت كمؤشر للقياس ، مثلها مثل عام ١٣٩٦هـ وهو الحدث الذي أتمت به الكرة الأرضية ألفاً وثلاثمائة وستاً وتسعين دورة كاملة حول الشمس منذ بدء التاريخ الهجري أو مثل قولنا «الجهمة» ، « الفجر»،

«الصبح» ، «الضحى» ،«الظهر» ، «القايلة» ، «العصر» ، «العصير» ، «الصفرة» ،«المغرب» ، «العشاء» ، «الأخير» ، «أول الليل» ، «آخر الليل» . (يلاحظ أنه قد تختلف بعض هذه المسميات من منطقة لأخرى) . كل هذه المصطلحات عبارة عن أحداث وتغيرات متكررة في اليوم الواحد تستخدم للدلالة على الوقت وتستثمر سابقاً في تحديد المواعيد واللقاءات ، والمناسبات ، ولولا وجود هذه التغيرات لما استطعنا ايجاد مؤشر للوقت ، أو ربما لما كان لدينا شيء اسمه مصطلح «وقت» كذلك مصطلح «اليوم» وهو حدث تكملة الأرض الدوران حول نفسها دورة واحدة مما ينتج عنه تبادل الليل مع النهار ، وكذلك «السنة» وهي تكملة الأرض الدوران حول الشمس دورة واحدة ، وكذلك الفصول ، فنحن ننتقل من فصل لآخر لأن هناك أحداثاً تتغير وأحداثاً تطرأ .

هذا الطرح يزيد وضوح غموض مصطلح الوقت ، ويحدده بالإطار البشري الذي نعرفه ونستطيع أن نفهمه وهو عبارة عن نموذج مثل بقية النماذج الأخرى نستخدمه لتجريد الظواهر الطبيعية الضخمة إلى علاقات مبسطة بحيث نستطيع استيعابها وفقاً لقدراتنا العقلية والفكرية . إلا أن نموذج الوقت هذا يتميز بأنه يجرد ظاهرة تتسم بالاتصال (الوقت ككتلة خام متصلة ، وذلك كاستعارة لغوية لتوضيح الوقت في هيئته الطبيعية) إلى حالة تتسم بالتقسيمات وفقا لظواهر وأحداث أخرى نثق بثبات تكرارها وذلك وفقا لتجربتنا لها على مر التاريخ ونأخذها كمؤشر لهذه التقسيمات [٩] .

ولكن مع هذه الاجتهادات البشرية، ومع أننا نعرف أن السنة مكونة من عدد محدود من الأيام ، وكل يوم مكون من أربع وعشرين ساعة ، وكل ساعة تتكون من ستين دقيقة ، وكل دقيقة تتكون من ستين ثانية ، وتتفق جميع شعوب العالم علي هذه التقسيمات ، إلا أن معايشتنا لهذه التقسيمات وعلاقتها بالناحية

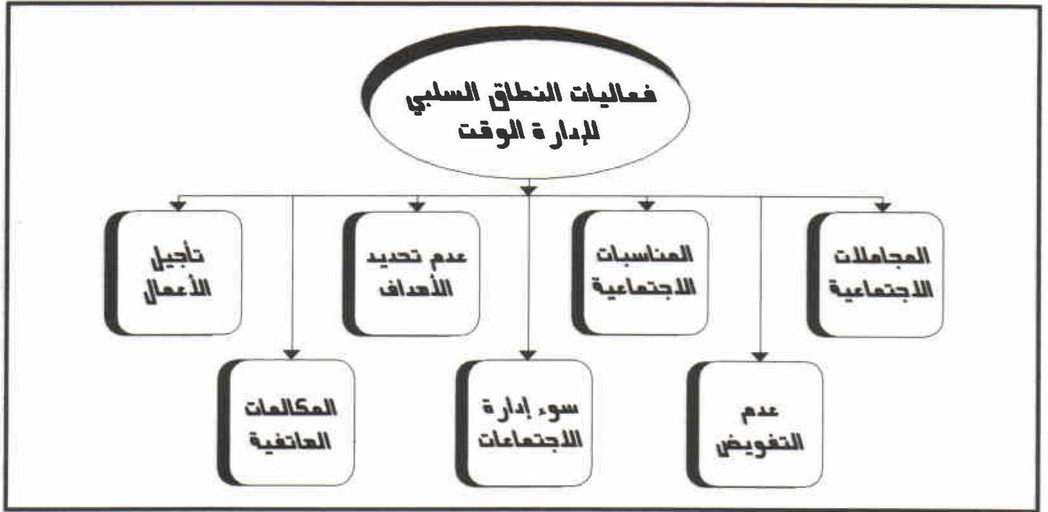
النفسية للانسان تختلف من شخص لآخر، ومن حالة الى حالة . فمعايشتي لإحدى ساعات اليوم قد تختلف عن معايشتك لتلك الساعة ، فتلك الساعة بالنسبة لي قد تذهب ببطء بحيث تعادل عاماً بأكمله، بينما معايشتك لها تختلف من حيث أنها ذهبت بشكل سريع للغاية لا تدري أين ذهبت فعلاً . أحياناً الشخص نفسه يحس بأن بعض الدقائق تمر ببطء ، وأحياناً أياماً بكاملها تذهب وكأنها عدد من الدقائق المحدودة. وبشكل عام فان انخراطنا بأحداث ونشاطات نحبها ونتمتع بها تساهم بجعل الوقت يذهب بشكل سريع ومتطاير، بينما انخراطنا في أحداث ونشاطات لا تدخل ضمن قائمة اهتماماتنا تجعل الوقت يذهب ببطء وملل المسألة بالنسبة لي أكثر من كونه إحساساً فقط . بلاشك، ان للوقت سيكولوجيته الخاصة التي تزيد من غموضه وتعقيده(١٠) . إلا أن فهمنا لهذه السيكولوجية ولطبيعة الإدراك الذاتي للوقت يجعلنا أكثر قدرة للتعامل معه وإدارته بشكل جيد (١١) .

نستطيع أن نستخلص من العرض السابق بأن الوقت عبارة عن مجموعة من الأحداث والتغيرات التي تحدث في مجموعة من الفترات سواء كانت هذه الفترات متباعدة أو متقاربة ، متزامنة أو منفصلة ، وإن إدارة الوقت هي عبارة عن ترتيب هذه الأحداث والتغيرات والسيطرة عليها بشكل إيجابي مما يزيد من فعاليتنا ويساهم في رفع إنتاجيتنا ورفع مستوى جودة هذه الإنتاجية . ادارة الوقت ، من هذا المنظور ، تعني محاولة التخطيط الجيد لمجمل الأحداث والتغيرات والفعاليات التي ينخرط بها شخص ما ، ومحاولة تحديد تلك الفعاليات التي تدخل ضمن النطاق الإيجابي للشخص والتركيز عليها بشكل مرتب ، وتحديد تلك الفعاليات التي تدخل ضمن النطاق السلبي للشخص ومحاولة الحد منها أو التخلص منها قدر الإمكان . ويشير النمر وزملاؤه إلى ضرورة النظر على أن إدارة الوقت عملية متكاملة بقولهم : (١٢)

(ويعد مفهوم إدارة الوقت ، من المفاهيم المتكاملة والشاملة لأي زمان أو مكان أو إنسان ، فإدارة الوقت لا تقتصر على إداري دون غيره ولا يقتصر تطبيقها على مكان دون آخر ، أو على زمان دون غيره ، وقد ارتبط مفهوم إدارة الوقت بشكل كبير بالعمل الإداري . حتى أصبح ينظر إلى تطبيق هذا المفهوم بشكل ضيق، والحقيقة أن مفهوم إدارة الوقت يشمل إدارة الوقت الخاص ، إضافة إلى إدارة وقت العمل ، أي الوقت المتبقي من ساعات اليوم بعد انتهاء مدة العمل المحددة . وقد ارتبطت كلمة الإدارة بالوقت سواء كان وقت العمل أو الوقت الخاص ، ومن خلال وجود عملية مستمرة من التخطيط والتحليل والتقويم المستمر لكل النشاطات التي يقوم بها الفرد خلال مدة زمنية محددة تهدف الى تحقيق فعالية مرتفعة في استغلال هذا الوقت المتاح للوصول إلى الأهداف المنشودة .

فعاليات النطاق السلبي للوقت :

لاشك أن حياتنا اليومية مليئة بالفعاليات والنشاطات التي تدخل ضمن النطاق السلبي لإدارة الوقت . والسبب الرئيس خلف هذه الفعاليات وعدم إدراكنا لها كمعوقات أساسية لإدارة الوقت ومضيعات له هو أننا في غالبية الأحيان لم نبدأ بعد بإدراك وقت الانسان على أنه سلعة نادرة وثمينة وناضبة ، وأنه لا يمكن تعويضه بأي حال من الأحوال ، وهذا راجع نسبيا لتنشئتنا الاجتماعية والى مجموعة المفاهيم والأفكار والقيم التي تلقيناها سواء من البيت أو من تعايشنا مع الجيران ، أو من الحي الذي نقطنه . إن عدم إدراكنا لأهمية الوقت بشكل عام يجعلنا ننخرط في فعاليات سلبية ليس لها مردود إيجابي على حياتنا أو على إنتاجنا ، بل أحياناً يكون لها مردود سلبي جداً على أعمالنا التي من المفترض أن ننجزها بالوقت المحدد والجودة المطلوبة . ويمكن إيجاز بعض من هذه الفعاليات على النحو الوارد في الشكل .



المجالات الاجتماعية :

بشكل عام نحن شعب مجامل ، وهذه ميزة لنا جيدة إن أحسن استخدامها ، وسلبية إن أسرف في التعامل معها . ومع أن مجاملة الآخرين تدخل ضمن الأسلوب المرغوب فيه ، إلا أنه يجب أن نكون يقظين بأن لا تسيطر هذه المجاملة على أوقاتنا وتدخلنا ضمن فعاليات وارتباطات لا نرغبها مما يجعلها تؤثر على التزاماتنا الرسمية وغير الرسمية . بمعنى آخر ، يجب أن نكون أسياداً لتلك المجاملة ، ونوجهها بطريقة بحيث لا تستنزف أوقاتنا بأشياء غير مفيدة . والأمثلة على الفعاليات التي تدخل ضمن نطاق المجاملات الاجتماعية عديدة ومتشعبة وكل واحد منا يعرف العشرات من الأمثلة .

المناسبات الاجتماعية :

إن الإسراف في فعاليات المناسبات الاجتماعية مثل الولائم والحفلات ومناسبات الزواج ، والشبّه الليلية أو الأسبوعية والفعاليات الأخرى المشابهة ، يدخل ضمن النطاق السلبي لإدارة الوقت. ومع أن الحفاظ على المشاركة الفعالة في هذه المناسبات وفقاً لجدول محدد ومسيطر عليه تعتبر من ضرورات الحياة ، إلا أن الإسراف فيها وعدم السيطرة على حدوثها ، وتعارضها مع فعاليات وأحداث تعتبر أهمها يؤثر سلبا على إدارة الوقت بشكل فعال .

عدم القدرة على تحديد الأهداف :

عدم تحديد الأهداف يجعلنا لا نميز بين تلك الفعاليات التي تعتبر مهمة لتحقيق الغايات الأساسية التي نبحث عنها في حياتنا وتلك الفعاليات التي لا علاقة لها بتلك الغايات . ومع أن تنشئتنا في غالبيتها لم تعطِ عنصر الوقت حقه من الاهتمام ، إلا أن الاهتمام به في الآونة الأخيرة أخذ بالتزايد، وأصبحت إدارته بشكل فعال مطلباً أساسياً لفعالية المدير الناجح في هذا العصر . وهذا بالتأكيد يجعل عملية تخطيط الأحداث ومحاولة ترتيبها بشكل منطقي وتحديد الأهداف التي نسعى لتحقيقها عملية مهمة وضرورية لمدير اليوم ، وكما يقول ديفد كامبل « إن كنت لا تعرف الجهة التي أنت ذاهب إليها فربما تنتهي في مكان لا ترغبه » [١٣] كذلك إن كنت لست قادراً علي تحديد الأهداف التي ترغب في تحقيقها ، فربماً يحدث لك شيء لا ترغبه .

التوجه نحو تأجيل الأعمال :

يحدث أن بعض الأشخاص يميلون بأن يؤجلوا الأعمال والمهام المكلفين بها إلى الغد ، ومع أن تراثنا يحثنا على عدم التأجيل (لا تؤجل عمل اليوم الى الغد) إلا أن هذا النوع من السلوك يعطي الشخص إحساساً واهما بأن لديه متسعاً من الوقت نتيجة لتأجيله لكثير من المهام والأعمال المهمة مما يجعله يمارس مهاماً ونشاطات أخرى ليس لها علاقة بالأهداف

التي يسعى لتحقيقها . وكما يقول المثل « قيمة يومك الحاضر يعادل قيمة يومين بمستقبلك » وذلك لأنك تسيطر على أحداث اليوم الحاضر ، ولا تستطيع ضمان ماهية الأحداث التي ستحصل في يوم مستقبلك » « عصفور في يد خير من عشرة على شجرة » ، إلا أننا في هذا التأجيل نهدر الوقت في مهام ليست ذات قيمة وبالتالي تتراكم الأعمال والمهام التي لا نستطيع القيام بها لعدم توفر الوقت الكافي ، وحيث أنك لا تستطيع أن توفر الوقت الإضافي ولا تشتريه ، كما يقول المثل الصيني « شبر من الذهب لا يستطيع شراء شبر من الوقت » ، فإننا نصبح غير قادرين على القيام بمهامنا بشكل فعال مما يكون له أثر سلبي على جودة أعمالنا وفعاليتها . إن تبذير الوقت عن طريق التأجيل يعتبر سبباً رئيسياً بفشلنا باستثماره بالطريقة التي تخدم تحقيق أهدافنا وتزيد من فعاليتنا ، وكما يقول بنجمن فرانكلن « إذا كنت تحب الحياة، فلا تبذر وقتك لأنه هو المادة التي كوّنت منها الحياة » ، ويؤكد ذلك ليون ألبرت بقوله « الشخص الذي يعرف كيف لا يضيع الوقت يستطيع أن يحقق تقريباً كل ما يريد، والشخص الذي يعرف كيف يستثمر الوقت سوف يكون سيدا لجميع رغباته . إن التخلص من حالة التأجيل والمماطلة تعتبر مطلباً أساسياً لإدارة الوقت بشكل فعال حيث أنها تعتبر من الأسباب الرئيسة التي تجعلنا ننخرط في فعاليات ونشاطات ليس لها قيمة وتقع ضمن النطاق السلبي لإدارة الوقت .

التوجه نحو عدم التفويض :

كثير من المديرين يلجأون إلى عدم التفويض اما بسبب عدم ثقتهم بالآخرين بأنهم سيقومون بالعمل على الوجه المطلوب ، أو لرغبتهم الشخصية بأن يقوموا بالعمل بأنفسهم وذلك لأي سبب من الأسباب . القاعدة العامة تقول إذا كنت تستطيع إقناع الغير بالقيام بالعمل نفسه ، فلا تقم به بنفسك . والتفويض يستطيع أن يوفر لنا كثيراً من الوقت الذي نستطيع استغلاله في أشياء أخرى

لها أهميتها ، بالاضافة الي هذا ، فهو يجعل الآخرين يحسون بنوع من الأهمية بقيامهم بأعمال لها قيمة في حياة المنظمة. والتفويض يشمل تفويض بعض المبادرات والصلاحيات المتعلقة بمهام متفق عليها مسبقاً مع الموظفين الذين يخضعون للاشراف المباشر للمدير . والتفويض كذلك لا يعني تنازل المدير عن صلاحيته ومهامه ، بل هو توجه نحو الاستغلال الأمثل لوقت الموظفين وإثراء أعمالهم اليومية . انه من المفروض على المدير أن يحافظ على درجة معينة من المعرفة والدراية والسيطرة على مجريات الأمور ، ولكن ليس من خلال عدم الاستفادة من الآخرين والاعتماد الكلي على المجهودات الذاتية . بمعنى آخر يجب عليك التأكد من أنك ممارس جيد لفن التفويض مما يتيح لك القدرة من استثمار أوقات الموظفين لديك وتوفر وقتك لما هو أهم من أهداف المنظمة وذلك من تفكير وتوجيه وبصيرة .

سوء إدارة الإجتماعات :

تعتبر الاجتماعات مصدراً آخر من المصادر الأساسية التي تجعلنا ندخل في فعاليات تقع ضمن النطاق السلبي لإدارة الوقت . فكثير من الأحيان نحضر اجتماعات ليس لنا علاقة بالمواضيع التي تناقشها فتجدنا بدلاً من أن نسهم بالحديث إيجاباً لموضوع الاجتماع ، تدخل في سلوكيات أو فعاليات بعيدة عن جوهر الموضوع ، فيكون حضورنا من عدمه سيان . أحيانا نجد أناساً كثيرين يسهبون في الحديث عن نفس الموضوع ويكررون أنفسهم أكثر من مرة ويتناسون مضمون المثل العربي الذي يؤكد أن « خير الكلام ما قل ودل » أحياناً أخرى نجد بعض الاجتماعات تدول حول أحاديث جانبية ليس لها علاقة بموضوع الاجتماع ، وتفتقد إلى شخص يستطيع أن يوجه الحديث مرة ثانية الى موضوع الاجتماع في بعض الحالات يحول بعض الأشخاص النقاش الذي يدور في الاجتماعات الى مبارزة شخصية تتميز في محاولة الدحض

والرفض والتجريح لبعض الأفكار التي تطرح في الاجتماع وذلك فقط لأن هذه الأفكار التي يطرحها أحد المجتمعين لا تتفق أو تتعارض مع مجموعة الأفكار التي يحملها هذا الشخص أو ذاك . وفي هذه الحالة فان غالبية وقت الاجتماعات تنصب حول مبارزات ليس لها قيمة وتهدر وقت المجتمعين وليس لها أثر ملموس على الأهداف العامة للاجتماع . إن قبول الأفكار ، مهما تعارضت مع الأفكار التي نتبناها ، يعتبر مهارة أساسية لفعالية المدير في هذا العصر ، وكما يقول سكت فتزجيرالد « إن الاختبار الأساسي للذكاء المتطور هو القدرة على الإبقاء على فكرتين متعارضتين في العقل وذلك في نفس الوقت الذي تستطيع فيه الحفاظ على القدرة في الاستمرار في عملية التفكير» (١٤) أخيراً ، يكون هناك في بعض الاحيان إصرارا من الشخص بحضور الاجتماع بنفسه مع أن حضوره شخصياً ليس مهما بحد ذاته ومن الممكن إنابة شخص آخر للحضور بدلاً منه . في هذه الحالة فإن المدير يحجب فرص التطور واكتساب المهارات من قبل الموظفين الآخرين الذي يمكن أن يحضروا هذا الاجتماع ويقومون بنفس الدور الذي يقوم به المدير ذاته . ولا يقتصر الحديث هنا على الاجتماعات الرسمية فقط ، بل كثير من الاحيان تحدث اجتماعات غير رسمية ، وزيارة للمكاتب تسهم بشكل مباشر وغير مباشر بإهدار الوقت وعدم استثماره على الوجه المطلوب . إن سوء إدارة الاجتماعات ، وهي التي تمثل الجزء الأكبر من فعالياتنا كمديرين في حياة المنظمة ، تجعلنا ننخرط في فعاليات متعددة ليس لها علاقة بتحقيق الأهداف التي نسعي لتحقيقها .

المكالمات الهاتفية :

تعتبر المكالمات الهاتفية مصدراً آخر لتضييع الوقت وإهداره على فعاليات غير مهمة بالأهداف والمهام التي من المفترض القيام بها . إن عدم قدرة المدير على استثمار قدرات مدير المكتب أو السكرتير بالقيام بالرد على الهاتف

وتحويل المكالمات المهمة فقط يجعله يقوم بمهام وظيفة ليست وظيفته الأصلية . إن هناك كثيراً من المكالمات التي تأتي عن طريق الخطأ ، كذلك هناك كثير من المكالمات التي تخرج عن نطاق العمل ، والتي من الممكن أن يكون مدير المكتب قادراً على التعامل معها بشكل يوفر كثيراً من الوقت على المدير . أضف إلى ذلك أننا ندخل في أحداث كثيرة ومتعددة في مكالماتنا الهاتفية ليس لها علاقة بموضوع المكالمة الأساسي ، مما يحتم على المدير أن يوجه الحديث نحو تحديد الهدف من المكالمة بطريقة لبقة ومؤدبة مما يساعد على تحقيق الهدف من المكالمة بأقل وقت ممكن . اننا بالتأكيد لا نستطيع أن نتخلص من كثير من العادات التي قد تؤثر سلباً على إدارة وقتنا بشكل فعال ، مثل السؤال عن الحال وصحة الأهل والعيال في الوقت المخصص للعمل ، إلا أنه يستحسن الحد من هذه الظاهرة قدر الإمكان .

زيادة فعالية إدارة الوقت :

من الطرح السابق تبين أن هناك كثيراً من الفعاليات التي ننخرط ففيها وتقع ضمن الإطار السلبي لإدارة الوقت وتساهم في إهداره ونحن في أمس الحاجة إليه وذلك كأشخاص عاديين أو كمديرين رسميين . أن أول خطوة يجب أن نتبناها لزيادة فعاليتنا في إدارة الوقت هو زيادة الإحساس والوعي بأهمية الوقت كعنصر أساسي في إدارة مجمل الأحداث المختلفة في حياتنا وتحقيق الغايات والأهداف التي نسعي لتحقيقها . وإذا كانت مقولة أعطني من الوقت ما أريد وسأعمل لك ما تريد صحيحة ، إلا أنه بالتأكيد ليس بالإمكان توفير الوقت الذي نريده لتحقيق أشيائنا وغاياتنا وأهدافنا التي نسعي لتحقيقها وذلك لأن كلاً منا ، مهما طالت به الحياة ، له أجل مسمى . إذا يعتبر البدء بإدراك أهمية الوقت والاعتراف بمحدوديته ، والبدء بالاستثمار الايجابي له ، يعتبر الخطوة الأولى والأساسية نحو إدارة فعالة له . وهذه الخطوة ، من وجهة

نظري ، هي أصعب الخطوات للبدء بادارة الوقت بشكل فعال حيث أنه ليس من السهل تغيير نمط السلوك الفكري والإدراكي للأشخاص وكذلك تغير طبيعة العلاقات للأشياء التي يحملها هؤلاء الأشخاص ويطبقونها في سلوكياتهم اليومية بناء على التنشئة التي مروا بها وطبعوا بطباعها . ويؤكد على هذه النقطة آرثر كوستلر بقوله : (١٥)

(من بين جميع الأنشطة الفكرية ، يبقى الشيء الأكثر صعوبة للإحداث ، حتى في عقول الصغار الذين من المفترض أنهم لم يفقدوا مرونتهم بعد ، هو فن التعامل مع نفس مجموعة البيانات السابقة ، ولكن بوضعها في أنظمة جديدة لعلاقات بعضها مع البعض وذلك بإعطائها أطراً مختلفة ، والذي يعني بشكل عام وضع غطاء فكري لدقيقة واحدة . انه من السهل تعليم شخص ما حقيقة جديدة .. ولكنك تحتاج الى جهود مضنية لتمكين المدرس من تغيير الأطر القديمة التي تعود الطالب رؤية الأشياء من خلالها) .

بعد هذا المطلب الأساسي ، على الشخص أن يتساءل عن الأهداف التي يسعى لتحقيقها ، وما هي درجة أهميتها وإلحاحها ؟ سواء كان ذلك على مستوى العمل الذي يزاوله الشخص أو على مستوى أشمل بما في ذلك الأهداف العامة التي يسعى الشخص لتحقيقها في حياته. لاشك أن عملية تحديد الأهداف عملية مهمة وحاسمة بالنسبة للشخص حيث أن لا معنى للحياة بدون أهداف وغايات . بناء على هذا التحليل فانه بالإمكان التوصل إلى قائمة تشمل مجموعة من الأهداف حسب الأهمية ودرجة الالحاح ، وكذلك تحديد الخطوات المطلوبة لتحقيق هذه الأهداف . عليك أن تتساءل بعد هذا أين يذهب وقتي فعلا ؟ وهذا يتطلب أن يقوم بعملية تحليلية لمجموعة الأحداث والنشاطات والفعاليات التي يزاولها ولنقل لمدة أسبوع من الزمن ، ويحدد فيها كم من الوقت يستهلك كل حدث من هذه الأحداث ، وماهي أهمية هذا الحدث بالنسبة للشخص ذاته وعلاقته بالأهداف والغايات التي يسعي لتحقيقها في حياته . ربما يكتشف الانسان من خلال

هذه العملية التحليلية للوقت أن الجزء الأكبر من وقته يذهب في فعاليات ليس لها علاقة بأهدافه وغاياته . ومن المفترض أن تكون نتيجة هذا التحليل مؤشراً كافيا بأن يعيد الشخص ترتيب التزاماته العملية والاجتماعية بما يكفل توكيد علاقتها بالأهداف وتحاشي تلك الفعاليات التي ليس لها علاقة بها وتعتبر مصدراً من مصادر إهدار الوقت .

على الشخص أيضا أن يتعود على تسجيل الأحداث والالتزامات التي ينخرط بها بشكل يومي . بالإضافة إلى أن هذا العمل يعتبر مظهراً حضارياً ، فإنه يزيد من قدرتنا على السيطرة على مجمل الأحداث والتأكد من عدم تداخلها وتضاربها وإيجاد نوع من التذكير المستمر للالتزام بها وعدم نسيانها . ان استخدام السجل اليومي للفعاليات والأحداث التي يلتزم بها الشخص مبدأ أساسي ومهم لإدارة الوقت ويمكن للشخص أن يستخدم أكثر من سجل ، سجل الأحداث المتعلقة بالعمل بحيث يتركه مع مدير المكتب أو السكرتير ، وسجل الأحداث المتعلقة بفعاليات الشخص خارج أوقات العمل . ولكن في كل الأحوال يستحسن توحيد هذا السجل مما يسهل الرجوع له بدلاً من أن يكون هناك أكثر من سجل .

بالإضافة إلى هذا ، على الشخص أن يقوم باستثمار أوقات الأشخاص الذين يقعون تحت النطاق الإشرافي المباشر له . ويمكن أن يتم هذا عن طريق التوزيع العادل للمهام والمسئوليات الملقاة على عاتق المدير وممارسة فن التفويض لبعض الصلاحيات التي تستطيع أن توفر كثيراً من الوقت . القاعدة في هذا التوجه هو بما أنك غير قادر على زيادة ساعة يومك ولو بدقيقة واحدة ، فانه يتوجب عليك استثمار أوقات الآخرين لتحرير جدول أعمالك من الالتزامات التي تستهلك وقتك . أضف إلى هذا ، انه إذا كانت لديك الرغبة في التطوير والتجديد والإبداع ، فان الأمر يتطلب أن توفر الوقت اللازم لحدوث مثل هذه الرغبة ، وكما يقول ديفيد كامبل « إذا كنت ترغب

في عمل شيء معين فانه يجب عليك توفير المساحة الكافية له »[١٦] فبدون مساحة من الوقت لا شيء يمكن تحقيقه .
إن عمليات التفويض ليس فقط مطلباً أساسياً لتحرير وقت المدير من بعض الالتزامات ، بل انه مطلب أساسي لتطوير الموظفين وتوفير الفرصة لهم لممارسة هذه العمليات واكتساب الخبرات والمهارات المطلوبة للقيام بهذه المهام في حالة تسلمهم مناصب أعلى . كذلك يجب التأكد أن المدير قادر بشكل فعال على التعامل الإيجابي في الاجتماعات ومحاولة التغلب على تلك السلوكيات التي تضيع كثيراً من الوقت بدون فائدة .
أضف إلى ذلك ، أن قدرة المدير على التعامل مع الهاتف بشكل ايجابي عنصر مهم لتوفير الوقت اللازم للأعمال الأخرى الأكثر أهمية .

التلوث الاجتماعي

د/ محمد حامد
كلية الهندسة جامعة قناة السويس
بورسعيد ـ جمهورية مصر العربية

مقدمة :

من منطلق التلوث الكثير الحادث في كافه جوانب الحياة ، كان من الواجب علينا الخوض في معركة التحرير من التلوث في البيئة الدولية عموماً وفي الوطن بوجه خاص ولذلك تظهر الاهمية القصوى لتطوير الحياة الانسانية عموما ومناقشة مختلف القضايا الموجودة على الساحة وتأثير التطور العلمي والطفرة الرهيبة في مختلف التخصصات ونشأة الكثير من الامراض المستعصية والغريبة عن البشرية وغيرها من القضايا التي لم يتعرف عليها الانسان حتى الآن .

هذا وبالاضافه الى أهمية الثقافة البيئية ومن أجل الوعي البيئي المطلوب انتشاره على المستوى الشعبي قبل الرسمي في الأشكال الطبقية او التعليمية أو الثقافية أو غير ذلك من التصنيفات الاجتماعية المحددة عن طريق الخبراء المتخصصين في هذا المجال كان لابد لنا من حصر كل القضايا المتعلقه بموضوعات البيئة بكل مكوناتها لتحليلها ومعرفة أسباب التلوث فيها للوقوف على اسلوب التخلص منه بالاسس العلمية المتوفرة في العصر الحديث بل وحتى نتمكن من القضاء على حدوث التلوث قبل وقوعه .

وحرصاً مني على أمتي كأي فرد آخر ولا أنفرد وحدي بذلك فكلنا نحب وطننا الام الوطن الذي عشنا في كنفاته عمراً وأجيالاً وحضارات متتابعة يعجب بها ولها التاريخ المعاصر ويشهد له الغرب قبل الشرق وتعلم ومازال يتعلم منه العلم الحديث بكل ما فيه من تقدم تكنولوجي وعلمي وبعد وصول الانسان الى الكواكب البعيده والاختراعات المذهلة وسيظل يتعلم ويهتدي به العصر الحديث لما يجعلنا نفخر بوطنيتنا وأمتنا الأبية ذات الحضاره العريقة على مر العصور .

ا ــ التلوث العلمي :

وتأتي العمليه التعليميه على الجانب الهام في الحياه التعليمية والتطوير حيث ندخل الى الجانب البحثي من التعليم وهنا تظهر المشاكل البيئيه في البحث العلمي وليس البحث العلمي لمشاكل البيئه ، وهذا يعنى انه حتى البحث العلمي الباحث عن الحلول لمشاكل البيئة فان البيئة البحثية بها من التلوث ما يمكن أن يذكر أو لا يقال على الاطلاق ومن هنا نجد أن التلوث البحثي أصبح ظاهرة عصرية في بعض البلاد وقد يرجع ذلك الى المنظومة الادارية داخل الجامعات ومراكز البحث العلمي بالاضافه الى الباحثين ذاتهم لأنه لابد وان يبدأ التلوث البحثي من عندهم وهم ينظرون الى المجتمع بطرف العين بينما الغالبية العظمى هي الصالحة والتي تعمل في خدمة الصغير قبل الكبير وفي تواضع تام لان التلاحم المتبادل ضرورة قومية .

إن تردى المستوى البحثي لأي من الأسباب ماهو الا تلوث من الدرجة الاولى لأن هذا المجال لابد وأن يكون بدرجة من النقاء لا يوجد لها مثيل في أى من المجالات الأخرى ، ولذلك فان البحث العلمي إذا ما تلوث أصبح من المستحيل على الدولة القيام بدورها على الوجه الأكمل والتلوث هنا يأتي عموما على النحو التالي :

أولاً : تلوث الباحثين :

ويمثل تلوث الباحثين المشكلة الأكبر في أنواع التلوث الحادثة في هذا المجال

النقي فاذا ماتلوث المهيمن على البحث أصبح كل ما يلمسه ملوثاً ولذلك يجب تنقيه الباحثين من الشوائب والعوالق وكل ما من شأنه أن يعرقل المسيرة العلمية للبلاد . وإضافة الى هذا نجد أن الباحث إما أن يكون قادراً على الابداع والابتكار أو أنه مازال تحت الاشراف العلمي مشكلاً بذلك مستويين من الباحثين القادرين على الأداء والمساعدين لهم وهنا نجد أن القادرين عادة ما يكونون قد حصلوا ونالوا الشهادات العلمية المؤهلة ولا يحتاجون الى الشهادات العلمية أما المساعدون فهم الفئة الأكبر عدداً في العادة وهم المحتاجون الى العمل البحثي .

إن احتياج الفئة المساعدة للبحث العلمي ماهي إلا الطلاب الراغبين في الحصول على الشهادات العلمية مثل الدكتوراه والماجستير ولذلك من الممكن أن يحذوا الملوث فكرياً منهم باسلوب التضليل هدفا لنيل الشهاده إلا أنهم ليسوا ليس الغالبية العظمى لانهم وبلاشك من أفضل العناصر الموجودة في المجتمع لتميزهم العلمي والأخلاقى وهم أيضا وبدون أدنى ريب الفئة التي ستتحمل المسئولية القادمة لبناء المجتمع . كما أن أنواع هذا التلوث هنا قد تنقسم إلى الأنواع الآتية : ـ

١ ـ عدم توافر الأمانة العلمية .

٢ ـ عدم القدرة على أداء العمل .

٣ ـ عدم تواجد الاشراف المباشر .

٤ ـ الوصوليه كمبدأ جوهري في التعامل .

وفي جميع الاحوال لن تختلف النتيجة ولن يختلف أى منا عن المعني في التضليل وعدم الامانة في أداء العمل بينما يجب على أهل العلم أن يكونوا القدوة الحسنة لجميع الفئات الاخرى من المجتمع لأن هذه الفئات وبلا ريب قد تتلمذت على أيديهم وهم طلاب في الجامعة والكل ينظر اليهم في احترام تام وإجلال لقيمه العمل الذي يقومون به فهم الطليعة إلى المستقبل .

ثانياً : تلوث الأجهزة العلمية :

ويأتي تلوث الأجهزة بمعنى إساءة استخدام الأجهزة أو أسلوب العمل بها إلا إذا كانت من البداية غير صالحة لهذا

العمل ولذلك فإن دور الاجهزة في الانتاج العلمي للأبحاث العلمية التي استخدمت الأجهزة ما هي إلا المحور العلمي الأول للحركة البحثية المعملية ، بينما نحن بصدد الأجهزة المعملية فهي تلك الاجهزة المستخدمة كأجهزة وأدوات أو الأجهزة الفنية العلمية والتي قد تعمل عمل الاجهزة غير البشرية وهنا تستوى الحالتان بالنسبه للأداء البحثي اذا كانت الأجهزة بشرية أو الات علمية وأدوات .

ويمكن أن يصل التلوث من خلال المهيمن على الاجهزة من الباحثين المسئولين عن الاجهزة بفرض أنفسهم بالصفه الشخصية والباسها لباس الحق والثوب الشرعي للاستيلاء على مجهود الباحثين الفعليين الذين يفكرون ويعملون ويدرسون ويضيعون من الوقت الكثير بينما هو لا يعمل ولا يفكر ولا يضيع من الوقت شيئا بل أصبح مالكا من الباطن للمعمل الذي استلمه بأموال الدولة وها هو يسيطر دون رقيب أو محاسب .

ثالثاً : تلوث المادة البحثية :

أما عن الجزء الهام من التلوث في العمل البحثي عموما هو تلوث المادة العلمية ذاتها أي أن التلوث يصل الى النتائج التي حصل عليها الباحث اما بالتبديل أو الاقتباس او بالنقل عن الغير أو بالتلفيق وكلها تؤدي الي شيء واحد هو أن الباحث غير آمن في عمله ولا يجوز ائتمانه علي الأجيال التي سوف تتلمذ على يديه وتحت إشرافه .

وجدير بالذكر أن التلوث الحادث هو مايقوم به الباحث اختصاراً للوقت لنيل الدرجة العلمية او للإحساس بدنو المستوى العلمي الذاتي أو بالشعور بالفوضى العامه في مجال البحث العلمي مما يزيد من المشكله تعقيداً للمعنى والهدف مما يستلزم الأمر إعاده النظر في الهيكلة العامة للبناء البحثي وضروريات المنظومه العلمية للعمل البحثي .

ولا يتوقف التلوث هنا على هذا النوع المسموم من التلوث البحثي إلا أن أهم ما يمس الموضوع هو ما يمكننا قوله

قوله عن القدوة في المجتمع وكيف المآل مستقبلاً وهل كل الاستشارات والاعمال البحثية سليمة يجب الأخذ بها أم أن الوقفة القومية لإطالة النظر على السلبيات والإيجابيات أصبحت ضرورة أساسية يجب الالتزام بها .

رابعاً : تلوث الأجهزة المساعدة :

وهنا يدخل التلوث الاداري بكل ما فيه من خلل ليؤثر في المسيرة العلمية للبلاد مما يعطل المسار البحثي ويقلل من كفاءة العمل ويؤخر الوقت اللازم للتنفيذ وقد يكلف الأمر أموالا طائلة وقد تضيع علينا الأموال القومية والتي نحتاجها في البناء والذهاب إلى المستقبل بعين راضية إلا أن الزمن كفيل بأن يصحح الأوضاع غير السوية لتكون عبرة للأجيال القادمة وهيا يا أبحاث لتثبتوا للشعب وللعالم أنكم على مستوى المسئولية وأن المسيرة لن تتأثر من جراء تداخل القليل من التلوث والذي يجب استئصاله تماما من المنظومه البحثية .

٢ ـ التلوث الأمني :

ومن أهم الموضوعات التي تهم المواطن هو أمنه وأسرته وأهله وعشيرته والاحساس بالأمان وبالحرية في التعامل والحركة اليومية ليلاً نهاراً إلا أنه تواجدت الجريمه وستتواجد ولن يتمكن اى مجتمع على الارض من التخلص من الجريمة تماماً لأنه خلقنا هكذاً بشراً وعلينا تحمل نتائج أفعالنا ولكن هذا لا يدعونا الي التراخي والتخاذل وترك الأمور والأوضاع على حالها فمن الواجب العمل على تقليل وخفض معدل الجريمة إلى أدنى مستوى ممكن والعمل باستمرار لتحقيق هذا الهدف بأي شكل من الاشكال حرصا على سلامة الافراد وتأمينا لممتلكاتهم وذويهم.

ومن المؤكد أن الفقر والجريمة عنصران أساسيان وهامان لظهور الانحراف عموماً والجريمة خصوصاً لأنهما في الواقع يمثلان التربة الخصبة لانبات الجريمة والفساد وبهذه التربة الزراعية الحيوية يمكن القضاء على الشعوب والامم بدون حروب إلا انه علينا التفاعل

المتكامل حتى نتمكن من التخلص من الجريمة أو على الاقل التخلص من أسوا أنواعها بصرف النظر عن المسميات لها حتى نعيش في دولة تقل فيها الجريمة او الفساد الي أقل المعدلات .

وتمثل الجريمة وكذلك الفساد في المجتمع تلوثاً أمنياً يجب علينا التعامل معه من منطلق تحرير البلاد من التلوث الحادث في كافة المجالات وصولاً الى أنقى الأجواء اللازمة لحياة سعيدة للبشر على الكرة الارضية وذلك يمكن تحقيقه من خلال منظومه متكامله لمنع التلوث الأمنى من الظهور نذكر بعضا من عناصرها الهامة والمؤثرة بفعالية في النتائج سلباً وإيجاباً وهي :

١ ـ تدعيم الهيئات الأمنية المتخصصة .

٢ ـ تدعيم الهيئات القضائية للبت السريع فيها .

٣ ـ تدعيم الجهات البحثية المتخصصة لدراسة وبحث جميع الجوانب وكيفيه القضاء على مثل هذه الظاهرة .

٤ ـ المساعدة على رفع مستوى الأخلاقيات ومنع التلوث الحادث فيها داخل المجتمع والقضاء على التلوث الاجتماعي الذي يشكل الضرر الأكبر على الوطن .

٥ ـ تقديم الأجهزة والأدوات المتقدمة علمياً والتكنولوجية العالية المتخصصة لهذه النوعية من الأعمال الأمنية على كافة المحاور التي تهم هذا المجال من العمل الأمني علي المستوى المحلي والقومي .

٦ ـ استحداث المحاور المتقدمة والمعروفة حديثاً في التخصصات الهامة والتي تؤرق المجتمع بكامل طوائفه .

وتمثل الانهيارات الحادثه في القيم والأخلاقيات الأسمدة الزراعية لانتاج أوفر وأكفأ وبذلك تساعد في التلوث الأمنى وتزيد من التلوث وزيادة الجريمة والفساد في البلاد مما يضر بالصالح العام. وبتوفير الحماية الكافية من التلوث الاجتماعي يمكننا التخلص من التلوث الحادث في العديد من الجبهات اليومية ومنها تلك الأمنية بكل أنواعها .

ويأتي الأمن القـــومي على رأس القائمة الهامة في مفهوم الأمن الحديث للدول ، حيث يشمل الأمن الاقتصادي والمالي والثقافي والتعليمي والسياسي والتجاري والزراعي إلى غير ذلك من المجالات جميعاً ولذلك يجب تغيير المنظور الدولي لهذا المفهوم الحديث والذي من الممكن أن يصله التلوث فيما لو أن المجتمع تغافل أو تناسى حقوق إحدى الدول . أما عن الأمن القومي داخلياً فانه لابد وأن يظل خاليا من التلوث بعيداً عن الآثار الضاره والناتجة عن التقدم العصرى والذي به اختلطت الكثير من الأمور والذي معه أصبح الوضع الأمنى أشد تعقيداً عن ذي قبل .

كما أن التلوث الأمنى يأتي من جراء استيلاء دولة على أراضي دولة أصغر أو أضعف منها مما يلوث المناخ الأمني للدولة المحتلة والذي يجب معه على المجتمع الدولى متمثلاً في هيئة الأمم المتحدة الوقوف ضده لازالة التلوث الأمنى الحادث على الساحة وبأن تكون القاعدة تحت كل الظروف بلا استثناءات وتظهر هذه الظاهرة التلوثية غالباً في العالم الثالث الذي يرزح تحت وطأه الاحتياج المالي والضعف الاقتصادي الجاعلين له الضعف والاستكانة في المواقف الصعبة .

والصياغة الجديدة لمبدأ الدفاع عن الدول المعتدى عليها أمر مطروح على الساحة كي تأخذ الدول الأعضاء في هيئة الأمم المتحدة دورها اتجاه المبادرة نحو الخطوات الجادة من أجل حماية الضعيف في عالم سيسوده السلام قريبا أما عن الدول القوية فلها القوة وعليها الالتزام بحماية الضعيف استكمالاً لمسيرة السلام العالمي الوشيك على الانجاز والتحقيق .

والقضاء على التلوث الأمني دولياً أو وطنياً داخل الحدود يمثل القضية الأولى الهامة على الساحة الأمنية حتى يأمن المواطن يومه وغده وحتى تسود المحبة بين الكل في جو يملؤه رحيق الود والسرور والمجاملات الرقيقة بدلاً من المشاحنات والمهاترات والقذائف الاجتماعية المشينة

والمحدثه للتلوث الأمنى والاستقراري بجانب التلوث الجمالي لصورة المجتمع العربي أو الانسان المسلم على الكرة الارضية والتي يطلب منا الاسلام أن يسوده الود والمحبة والسلام .

ولابد الآن من الايضاح بأهمية الجبهة الداخلية الأمنية وأن كل الشعوب قامت بالتركيز عليها باعتبارها الجبهة الداخلية الوحيدة بل الأساسية في كل الحروب والذي معه ألقيت عليها الأضواء وأصبح من الأهمية بمكان أن تختل أو تهتز نتيجة تلوث الجبهة الأمنية وهي التي غالباً ما تكون عن طريق إحداث القلاقل والمظاهرات والإرهاب الداخلي المكمل للعمليات العسكرية .

من الممكن أن تتلوث الأوضاع الأمنية وتتباين داخلياً من فترة إلى أخرى في حالات عدم الاستقرار سواء كان وقتياً أو طويل المدى ولكنه من الوجهه العملية يعتبر حالة انتقالية لا تحتاج إلى المجهود الكبير أو التجهيز الضخم لأن التأثير الأولى المفاجيء والذي يعتمد أساساً على عنصر المفاجأة يكون مؤثراً ولكن بعد فترة قصيرة تتجه الأمور الأمنية في البلاد مباشرة نحو الاستقرار وتوضع كل الإمكانات تحت الاستعداد لمجابهة الاوضاع التي قد تأتي مستقبلاً .

ومن المهم الآن توضيح أن الجبهات الداخلية الأمنية قد تتباين أماكن التلوث بها وخصوصاً في نفس أوقات المعارك بصرف النظر عن أنها وقتية أو متقطعة الشكل أو مستمرة لمدة قصيرة قد تطول ، أو مستمرة لمدة طويلة غير معروفة النهاية ولا سيما لو كانت المعركة سجالاً فالتأثير يزداد وهنا يتطلب تدخل الاعلام الوطنى لحماية الجبهة المعنوية ضد الأخطار التلوثية .

الشعراء يدافعون عن أنفسهم

د. جميل ابراهيم علوش
الاردن

ربما كان من الصعب تصوير ما يقاسيه الشعراء في حياتهم دفاعاً عما يعدونه من صلب كرامتهم الشخصية ، ألا وهو فنهم الشعري وصناعتهم الجمالية . وقد تمتد المحنة إلى محاسبتهم على أفكارهم وآرائهم كما قال الجواهري :

لم تكفني نكبات قد أخذت بها
حتى نكبت بآرائي وأفكاري

على أني سأحصر الحديث هنا فيما يلاقيه الشعراء من عنت ، وما يواجهونه من غمز ولمز حول فنهم الشعرى الذي هو عنوان كرامتهم في هذه الحياة . فمن المعروف أن العرب منذ الجاهلية كانت تنظر إلى الشاعر نظرة تقدير واحترام . ولاشك أن هذه النظرة كانت في كل العصور تخلق له الحساد والأعداء . ويكبر الحسد ويشتد بقدر ارتفاع منزلة الشاعر . فبين هذين علاقات طردية كما يقول أهل العلم . وداء الحسد قديم ، وهو داء لا يقوم على منطق ولا يعتمد على فكر . ولكن داء الحسد على الرغم من ذلك يحتاج الى تفسيرات وتسويغات يقنع بها الحاسد نفسه أنه على حق وأنه لم يهاجم الشاعر باطلاً ولم يطعن في شعره افتئاتاً . وأسهل هذه التفسيرات والتسويغات أنه مقصر في فنه أو أنه كثير الخطأ أو أنه ضعيف الشاعرية . وهو لذلك لا يستحق في رأيه التقدير ولا التعظيم . وهو جدير لذلك بأن يخسر منزلته ويفقد مكانته ويصبح واحداً من عامة الناس لامجد ولا عظمة ولا فخر .

ولو كان الذين يواجهون بوادر العداوة هذه هم الشعراء الصغار أو المبتدئون لهان الأمر ، ولكن الذين

يواجهونها هم كبار الشعراء وعمالقتهم . فكلما كبر الشاعر وسمت مكانته كانت غارات الحساد عليه أشد وأعنف . والدليل على ما نقول هو الشاعر الكبير المتنبي . فقد بلغ المتنبي منزلة راقية في بلاط سيف الدولة . فثارت عليه ثائرة الحساد وأقضت مضجعه . فما كان منه إلا أن شكا ذلك إلى مولاه سيف الدولة الحمداني بقوله :

أزل حسد الحساد عني بكبتهم

فأنت الذي صيرتهم لي حسداً .

ولكن كيف يكون سيف الدولة هو السبب ؟ إن الاجابة عن ذلك تحتاج إلى كتاب ، ومع ذلك فمن السهل أن نقول إن سيف الدولة رفع منزلة المتنبي وقربه إليه فأثار عليه حسد الحاسدين . ولكن أمن هذا يشكو المتنبي ؟ وهل يمكن أن يشكو شاعر من نعمة تسدى إليه أو مكرمة تسبغ عليه ؟ أغلب الظن أن المتنبي لا يمكن أن يشكو من ذلك وإن كان البيت يتضمن معنى شكر سيف الدولة على ما أسدي إليه من نعم . ولكن المتنبي يتجاوز ذلك فيطالب سيف الدولة بأن يحسم أمره ويختار بين المتنبي وخصومه ، فيقربه ويستأثر به ويطرد خصومه ويتخلي عنهم ، بدليل أن المتنبي لما لم يحقق هذا المطلب هجر سيف الدولة رغبة في أن يستريح من عناء الحسد والحساد وأن يستأثر بأمير يجد في بلاطه الراحة من كل ذلك .

وكان المتنبي معتزاً بنفسه وبفنه فحين عاب عليه الخصوم بعضاً من شعره لم يجد ما يرد به عليهم إلا أنهم لا يفهمون الشعر ولا يحسنون تذوقه فكان مما قاله :

وكم من عائب قولاً صحيحاً

وآفته من الفهم السقيم .

فالعيب ليس في شعر المتنبي بل في من يتصدي لنقده وهو عاجز عن فهمه. والمتنبي صادق في ذلك . فالذي يطلع على ما قيل في نقده وتهجين شعره يشتم فيه رائحه الكيد والحسد والرغبة في التشفي والثأر . وكان المتنبي يعلم ذلك ويدرك دوافعه . ولذلك لم يترك

مناسبة إلا بادر إلي رده وتفنيده ومن ذلك قوله :

ومن يك ذا فم مر مريض
يجد مراً به الماءَ الزلالا .

ولعل هذا الهجوم المستمر على المتنبي أوصله الى هذه الحكمة الصارمة الصادقة .

والظلم من شيم النفوس فإن تجد
ذاعفة فلعلة لا يظلم .

ولست أريد أن أقف عند المتنبي فلي من شعراء العصر الكبار من أستطيع أن أورده مثلا على ما يلاقيه الشعراء من حسد وما يتجشمونه من عنت وما يتحملونه من ظلم واعتداء . ولقد لاقى حافظ ابراهيم من ذلك ماضاف به ذرعا فلم يجد من وسيلة للتخفيف من مصابه إلا أن يشكو علته إلى صديقه شوقي من خلال قصيدة نظمها بمناسبة استقباله عند عودته من منفاه في الأندلس . وكان مما قاله في ذلك .

أشكو إليك من الزمان وزمرة
جرحت فؤاد الشعر في أعيانه

كم خارج عن أفقه حصب الورى
بقصيده والعجب ملء جنانه

يختال بين الناس متئد الخطا
ريح الغرور تهب من أردانه

كم صك مسمعنا بجندل لفظه
وأطال محنتنا بطول لسانه

مازال يعلن بيننا عن نفسه
حتى استغاث الصم من إعلانه

ويبدو من تأمل هذه الأبيات أن الذين كان يشكو منهم حافظ هم شعراء مثله . ويشير شارحاً الديوان في الحاشية إلى أن حافظاً كان يقصد شاعراً بعينه هو عبدالحليم المصري . وهذا يعني أن الحساد ليسوا من طبقات السياسيين أو التجار أو رجال المال ، وان لم يكن من المستحيل بروزهم من تلك الطبقات ، بل هم من طبقات الشعراء أنفسهم ، وهذه هي الداهية الدهياء وذلك كما قال الشاعر :

ولكل شيء آفة من جنسه
حتى الحديد سطا عليه المبرد

والمبرد من الحديد . وإذا شبهنا الشعراء بالحديد فلا بأس أن يكون مبردهم من بين أنفسهم .

على أن حافظاً وهو المعتز بموهبته الشعرية المطمئن إلى سمو مكانته في عالم الفن ، لم يكن يعجزه الدفاع عن نفسه ورد أذى خصومه . فكان أن أنهى شكواه إلى شوقي بهذا البيت الحاسم الذي لا يستطاع تكذيبه .

أو لم تر الفرقان وهو مفصل
لم يلفت البوذي عن أوثانه

نعم إن القرآن الكريم والحكمة نجهلها لم يلفت البوذي عن أوثانه . فكيف يستطيع حافظ رد هؤلاء عن غيهم وإقناعهم بأن يؤمنوا به وبشعره ؟ .

أما ما لقيه شوقي من أذى الخصوم فهو أعنف وأشد . ولكنه كان قليل الشكوى كثير الصمت ، ومع ذلك فقد عثرت في إحدى قصائده التي نظمها في أواخر أيامه علي هذا البيت :

وتمام فضلك أن يعيبك حسد
يجدون نقصا عند كل تمام

فشوقي يرى أن من تمام الفضل أن يواجه الشاعر النقد الممض والكلام الجارح وكل ما عري من العقل وتجرد من المنطق من أحكام النقاد وآرائهم .

ويلحق الجواهري وهو شاعر عملاق بزمرة هؤلاء فيسمع ما يؤلمه ويقض مضجعه . وييأس من العدل والإنصاف فيتهم الأدباء بأنهم مراؤون مداجون يذمون الأحياء ويمدحون الأموات فيقول :

موتى الضمائر تعطي الميت دمعتها
وتستعين على حي بسكين

فهو يتعجب حين يرى تهافت هؤلاء الأدباء على نشر محاسن الأموات حين يموتون ، بل هو يتعجب أكثر من أن هؤلاء الأدباء ينسبون إلى الأموات محاسن لم تكن فيهم ، في حين يسلبون الأحياء محاسنهم . هذه المعاني عبر عنها الجواهري في مناسبات مختلفة مما لا نستطيع إثباته هنا لضيق المجال .

وصفوة القول أن الشعراء كلما ارتفعت منازلهم كانوا أكثر تعرضاً لقوارس النقد ولواذع الوصف ولكل مالا يحتمله الشاعر الحساس من سوء تقدير ناجم عن جهل بالمعايير وعبث بالمقاييس .

ولو كان هذا الهجوم محصوراً فيمن

يتطفلون على الأدب ويسطون على قواعد الشعر لهان الأمر ولكنه يبدو وكأنه مخصص للنوابغ والعباقرة فهنيئاً لهم ثم هنيئاً.

ولابد لذلك أن نسجل في كتب الأدب بل أن نذكر الأجيال الطالعة بأن الشعراء الكبار هم أكثر الناس تعرضاً للهجوم . فلنجعل هذا الهجوم من علامات عبقريتهم وشواهد نبوغهم ، بل لنجعله شارات تتألق على صدورهم . وليمت الحساد حسداً وكمداً .

البيت القديم

« قصة قصيرة »

يوسف حسن الغزو
الاردن

الاشجار تعدو مسرعة الى الوراء .
ونسائم الربيع تتدفق عبر الشباك بموجات منعشه لذيذة . والهضاب المجللة بالخضرة تتراءى عن بعد وعن قرب وقد ازدانت مساربها بصنوف الزهر ، وازدحمت جنباتها بحشود الشجر. ومن داخل السيارة القى سالم بنظراته الى الهضاب والوديان، واستنشق عبير الذكريات البعيدة ممزوجة بروائح الازهار المميزة . وخفق قلبه بروعة اللقاء مع الطبيعة الجميلة ، ورهبة المجابهة مع الذكريات المستحضرة .. كانت خفقات قلبه اشبه برعشات خفيفة حالمه تدغدغ اوتار نفسه وتعزف لحنا رائعا متناسقا مع لحن الطبيعة الجميل .

خيل اليه بأنه لا يقود سيارته بل يطير بها طيرانا الى المكان الذي يقصده . وخيل اليه ان المكان الذي يقصده ليس مكاناً محدداً ملموساً ، انما هو واحة سحريه فيها كل ذكرياته .. واليها تهفو كل مشاعره . وفيها تنزرع كل جذوره .

لم يكن وحده في السيارة .. كانت الى جواره سيدة هي زوجته وفي المقعد الخلفي أطفال هم اطفاله الثلاثة . فكان عليه ان يحد من جموح ذكرياته ، وأن يشكم انطلاقة افكاره .. ليعود اليهم ويشعرهم بوجوده معهم ، أو وجودهم معه .

نظر نحو زوجته فكانت تنتهب النظر الى مفاتن الطبيعية مثله ولكن لا ، لا يمكن ان تنظر الى الاشياء من حولها نفس نظرته . ذلك لان هذه الاماكن الجميلة لا توحي لها بغير الجمال المجرد عن الروح . أماكن قد تشاهد مثلها أو أروع منها في مناطق أخرى من البلاد .

أما نظرته هو فشيء يختلف : انها نظرة تنبض بالروح والمشاعر .. وتفيض بالحب والذكريات .. ولا يستطيع أحد أن يستشعرها الا اذا كان في حال تشبه حاله: لقد ترك قريته منذ صباه وسافر الى المدينة للدراسة والعمل .. فأكمل الدراسة ووجد العمل . وجرفه تيار الحياة فنسي القرية ولكن القرية لم تنسه .. وأضحت علاقته بأهله مقتصرة على زيارات يقوم بها أبوه وأمه كلما فاض بهما الشوق اليه.. ثم أضحت تلك الزيارات مقصورة على ابيه بعد ان رحلت أمه الى عالم البقاء .. وتزوج بفتاة من المدينة واشترى فيها بيتا جميلاً .. ورزق بأطفال ثلاثة فشغل بهم وبأعماله في المدينة عن طفولته وصباه .. وأضحت زيارة والده هي الخيط الرفيع الذي يذكره خطفا بتلك الايام . وكان ان عرض على ابيه ذات مرة أن يبيع البيت القديم ويريح نفسه من عناء التنقل بين القرية والمدينة .. ويقضي ما تبقى من عمره بينهم .. فهو في حاجة الى الرعاية والعناية في شيخوخته .. ولا يوجد في القرية من يهتم بأمره ويرعى شؤون حياته .. فضلاً عن أنه قد أضحي شبه عاجز عن العناية بالبيت .. وبالبستان الذي حوله ..

ورحبت زوجته ناديا بالفكرة .. وتعهدت ان ترعاه بكل ما تستطيع من رعاية .. وأن لا تشعره الا بشعور والد تقوم ابنته على خدمته دون من أو احسان.. اما الاطفال فقد هللوا طويلاً للفكرة .. وراحوا يتحلقون حول جدهم فرحين طالبين اليه ان يبقي بينهم الى الابد ..

أحسن الشيخ بصدقهم جميعاً .. وشعر ان قلوبهم المحبة التي تطوقه لا تكاد تدع له فرصة للافلات .. ولكن لم يكن من اليسير عليه ان يستجيب .. فهو لا يقدر على الرفض كما لا يقدر علي الاستجابة .. ووجد ان المخرج الوحيد من هذه الحيرة هو التسويف والتأجيل .. فطلب اليهم ان يمهلوه .. ووعدهم ان يبت فى هذا الامر اثناء زيارته القادمه .. ولكن الزيارة جاءت دون أن

تحمل في اعطافها الموافقة أو الرفض .. بل حملت أعذارا تكررت في كل موسم : ففي الشتاء يقول : « أمهلني يا ولدي لبضعة أشهر أخرى فقد زرعت أرض البستان بالحبوب ولا يجوز أن أتركها للطير والماشية » وفي الربيع يقول : امهلني يا ولدي شهراً أو شهرين حتى أنتهي من قطاف أشجار اللوز .. وحين تنقضي أشهر أخرى يقول « موسم الزيتون جيد لهذا العام ، والاشجار مثقلة بثمارها سيكون لك ما أردت بعد الانتهاء من قطافها » .

وما أن ينتهي القطاف حتى يكون الشتاء قد أقبل من جديد ، وتكون الارض قد زرعت بالحبوب وتعود الاعذار الى تكرار نفسها دون نهاية . وهكذا مضت السنون دون رفض او استجابة . ووجد سالم ان من المناسب أن يذهب بنفسه الى القرية برفقة زوجته واطفاله ليحاول اقناعه بالأمر .. ولسوف يستعين على تحقيق مسعاه بوجهاء القرية اذا لزم الامر.

انتزعه صوت زوجته من افكاره وهي تتساءل :

ـ بكم تراه سيباع ذلك البيت القديم يا سالم ؟

فوجيء بسؤالها ولكنه أجاب :

هه ؟ .. آه .. سيكون الثمن مجزيا ولا ريب يا ناديه ..

قال ذلك وسرح بخياله الى البيت القديم بحجرتيه الصغيرتين . وفنائه الواسع : وهو بستان غاص باشجار اللوز والمشمش والزيتون . .حوطه سور حجرى متهدم في بعض اجزائه مما كون ثغرات متعددة تنفذ منها البهائم الضالة الى داخله .. واشتط به الخيال فشاهد نفسه صبيا صغيراً يشغل نفسه برد تلك البهائم الضالة إلى حيث جاءت كما شاهد نفسه تلميذا صغيراً عائداً من مدرسة القرية متأبطا محفظته المصنوعة من القماش .. فكان يرى أول ما يرى ذوائب الاشجار العالية في بستانه ثم يشاهد البيت الصغير بحجرتيه وقد ظللتهما خميلة من الكرمة المتسلقة . وما أن يعبر الحجرة حتى يقذف بمحفظته فوق كومة من الفراش الى جوار الحائط ثم يخاطب والدته بلهجة باطنها الانذار :

« ماذا سأتغدى اليوم ؟ » فتقول له :
« كما تغدينا نحن يا ولدي لبن رائب ، وسلطة ومعقود العنب .. وبيض .. » .

ولكن سالم لم يكن يحب هذه المأكولات جميعا . كان يحب السبانخ المطبوخه ، فهي وجبته المفضله في الصباح والمساء .. وحين ينتهي موسم السبانخ ، كان يشارك والديه طعامهم المعتاد متذمراً .

ومرة أخرى انتزع سالم من أفكاره ليجيب على أسئلة طفولية قذف بها الاطفال في أسماعه عن القرية ، والناس فيها ، وعن الكروم والاشجار وبيت الجد. وعن المسافة المتبقية للوصول . ثم تسلمت زوجته زمام الحديث فراحت تستفسر عن ثمن البيت الذي سيباع وعن اوجه انفاقه، وعن أفضل الوسائل الكفيلة باقناع الوالد.. وعن امكانية نقله مع خاصة امتعته الى المدينة بغد الانتهاء من البيع. كما راحت تحدثه عن الاعذار والمبررات التي يمكن له ان يقدمها لمن يلومه على غيابه الطويل عن القرية ، واستغرق حديثهما هذا ما تبقى من الطريق فقد بدت عن قرب بيوت القرية الطينية العتيقة ، تتوسطها مئذنة جامعها العالية. وحين اجتازت السيارة مدخل القرية تساءل احد الاطفال مشيراً الي بيت قريب :

ـ هل هذا هو منزل جدي يا أبي ؟

أجاب سالم وهو يتشبث بمقود السيارة :

ـ كلا ياسامي . منزل جدك في الجهة الأخرى من القرية .

وما أن أطل سالم على الجهة الاخرى من القرية حتى شاهد البيت القديم يغفو وسط اشجار اللوز والزيتون. ثم رنا ببصره الى السور الحجرى فشاهد مدخل البيت . ثم ألقى نظره أخرى فشاهد الافرع العالية لاشجار اللوز وقد كللتها ازهارها البيضاء . وعندها تفجرت ينابيع الذكريات .. خيل اليه بأنه الطفل الصغير العائد لتوه من مدرسة القرية وتتأرجح على كتفه حافظة كتبه القماشية . وأن معركة ستنشب على التو مع والدته اذا لم يجد السبانخ المطبوخة .

أقتـرب بسيـارته من السـور فكأنما يعتزم القفز بها من فوقه كما كان يفعل في الماضي . كاد ان يصطدم بحجر كبير يعترض الطريق لولا تحذير زوجته في اللحظة الاخيرة .

ــ سالم ! انتبـه ! .. مـاذا حـدث لك ؟ ..

انتبه سالم وتوقف .. ولكنه سرعان مـا عـاد الى خيـاله وافكاره .. وهبط الاطفال من السيارة وراحوا يتسابقون الى داخل البيت قافزين على افرع الاشجار فى طريقهم .. أما الزوجة فراحت تلملم بعض الاشياء وترتبها في كيس تمهيدا لحملها الي البيت ..

ومن مقعده خلف مقود السياره القي سـالم نظـرات شـامله ناطـقة عـلى أشجـار الحديقة . واستمع الى غناء العصافير على أغصانها ثم أمعن النظر في الحجـرتين الصغـيرتين ، والى خميلـة الكرمـة التي تظللهـمـا . ثم حانت منه التفاته الى جوار البيت فشاهد حوضاً صغيراً مزروعاً بالسبانخ . وفجأة التفت الى زوجته وقال بحزم :

ــ ناديه . لا تتـحـدثي الى والدي بخصوص البيع . لو وافق هو فلن اوافق انا ...

وقبل ان يقرأ الدهشة المرتسمة على وجههـا فتح باب سيـارته بهدوء ثم ترجل ووقف قـريبـا منهـا .. ليلقي على المكان البـديع نظرات أعـمق وأشمـل ويملأ رئتـيـه بالهواء المشبع بعطر أزهار اللوز .

مِنْ عُيونِ الشِّعْرِ

من معلقة الأعشى

ودِّعْ هُريرةَ إن الركبَ مرتحلُ ... وهل تُطيقُ وداعاً أيها الرجلُ

غراءُ فرعاءُ مصقولٌ عوارضها ... تمشي الهُوينا كما يمشي الوَجِي الوجِلُ

كأن مشيتها من بيتِ جارتِها ... مرُّ السحابة ، لا ريثٌ ولا عجلُ

تسمعُ للحلي وسواساً إذا انصرفت ... كما استعانَ بريحٍ عشرقٌ زجلُ

ليستْ كمن يكرهُ الجيرانُ طلعتَها ... ولا تراها لسرِّ الجارِ تختتلُ

يكادُ يصرعُها ، لولا تشدُّدُها ... إذا تقومُ إلى جاراتِها الكسَلُ

إذا تعالجُ قِرْناً ساعةً فَترتْ ... واهتزَّ منها ذَنوبُ المتنِ والكفلُ

ملءُ الوشاحِ وصفرُ الدرعِ بَهكنةٌ ... إذا تأتى يكادُ الخصرُ ينخزلُ

صدّت هُريرةُ عنّا ما تُكلّمُنا ... جهلاً بأمِّ خُليدٍ حبلَ من تصلُ

هِركولةٌ ، فُنُقٌ ، دُرْمٌ مَرافقُها ... كأنَّ أخمصها بالشوكِ مُنتعلُ

إذا تقومُ يضُوعُ المسكُ أصورةً ... والزنبقُ الوردُ من أردانها شَمِلُ

ما روضةٌ من رياضِ الحزْنِ مُعشِبَةٌ ... خضراءُ جادَ عليها مُسبلٌ هطِلُ

يوماً بأطيبِ منها نشرَ رائحةٍ ... ولا بأحسنَ منها إذ دنا الأُصُلُ

عَلقتُها عرضاً ، وعُلقتْ رجلاً ... غيري ، وعُلّقَ أخرى غيرها الرّجلُ

وعُلقتُه فتاةٌ ما يحاولُها ... من أهلِها ميّتٌ يهذي بها وَهِلُ

وعُلقَتني أُخرى ما تلائمُني ... فأجمعَ الحبُّ حُبّاً كلُّهُ تَبِلُ

فكُلّنا مُغرَمٌ يهذي بصاحبهِ ... ناءٍ ودانٍ ، ومحبولٌ ومحتبلُ

قالت هُريرَةُ لما جئتُ زائرها : ... ويلي عليكَ وويلي منكَ يا رجُلُ

يا من يرى عارضاً قد بِت أرقُبُهُ كأنما البرقُ في حافاتِه الشُّعَلُ
لهُ رِدافٌ وجوزٌ مُفأمٌ عَمِلٌ مُنَطّقٌ بسِجالِ الماءِ مُتّصِلُ
لم يُلهِني اللهوُ عنهُ حينَ أرقُبُهُ ولا اللذاذةُ من كأسٍ ولا الكسلُ
فقلتُ للشَّرْبِ في « دُرنَى » وقد ثَمِلوا : شِيموا ، وكيفَ يَشيمُ الشاربُ الثَّمِلُ
برقاً يُضيءُ على أجزاعِ مسقطِهِ وبالخبيَّةِ منهُ عارضٌ هَطِلُ
قالوا نمارٌ فبطنُ الخالِ جادَهُما فالعسجديةُ فالأبلاءُ فالرِّجَلُ
فالسفحُ يجري فخنزيرٌ فبرقتُهُ حتى تَدافَعَ منهُ الرَّبْوُ فالجبلُ
حتى تحمَّلَ منه الماءَ تكلِفَةً رَوْضُ القَطا فكثيبُ الغَيْنةِ السَّهِلُ
يسقي دياراً لها قد أصبَحتْ عُزُباً زوراً تجانَفَ عنها القَوْدُ والرَّسَلُ
وبلدةٍ مثلِ ظهرِ التُرسِ موحشةٍ للجنِّ بالليلِ في حافاتِها زجلُ
لا يتَنَمّى لها بالقيظِ يركبُها إلا الذينَ لهم فيما أتوا مهلُ
جاوزتُها بطليحٍ جَسْرةٍ سُرُحٍ في مرفقيها إذا استعرضتَها فَتَلُ
إمّا ترَيْنا حُفاةً لا نِعالَ لنا إنّا كذلك ما نحفى وننتعِلُ

من الكتب الواردة حديثاً لدار الجوف للعلوم

اعداد : قسم التزويد بالدار

استمراراً لخطة الجوبة في الاهتمام بتعريف القاريء الكريم ببعض الكتب التى وردت حديثاً الى دار الجوف للعلوم، يسرنا أن نستعرض بايجاز الكتب التالية :

الآفات الثلاث : التدخين ، المخدرات ، الأمراض الجنسية / سيف الدين حسين شاهين . ـ الرياض : دار الأفق ، ١٤١٤هـ = ١٩٩٢م . ٢٨٨ص .

يتحدث المؤلف فى كتابه عن انهيار القيم الأخلاقية في بلاد الغرب وانتشار الفساد ، لذلك رأى أن يساهم بقلمه فى خدمه اخوانه المسلمين وتبصيرهم بالخطر القادم لسيساعدوا في وقاية أنفسهم وبلادهم وأبنائهم من هذا الفساد ، وتلك الأمراض الخطيرة المهلكة .

وهذا الكتاب يجمع بين دفتيه استعراضاً لآفات ثلاثة ابتلى بها المسلمون ، ووجب على الشباب بصفتهم عماد المستقبل وبأنهم مستهدفون من فئات البغي والطغيان والرذيلة في الغرب، وجب عليهم التعرف على الأضرار وطرق الوقاية من هذه الآفات والأمراض .

وقد قام المؤلف بترتيب كتابه ترتيباً منطقيا بادئاً بالتدخين على أساس أن التدخين هو الذي قاد ويقود الشباب الى الادمان على المخدرات ، ومن ثم تدفعهم المخدرات الى استخدام طرق الحقن بالمواد المخدرة ، وهذه تكون فيها النهاية بوصول المريض الى الاصابة بمرض الايدز .

ويبدأ الكتاب بنبذة عن أضرار التدخين وأثره على الصحة والمحتويات

الكيميائية الخطيرة للسيجارة ، ثم يستعرض أثر التدخين على القلب والأوعية الدموية والجهاز التنفسي والهضمي ، والجهاز البولي والتناسلي ، والاعصاب والفم والعين وجميع أجزاء الجسم . وأيضا أثر التدخين على غير المدخنين ، الذي يتواجدون فى أماكن تمتليء بدخان التبغ ، ثم كيفية الاقلاع عن التدخين ومناقشة مع أحد المدخنين .

أما الفصل الثالث والخاص بالأمراض الجنسية فيتحدث فيه المؤلف عن حكم الزنا والأمراض كالسيلان والزهري والهربز والايدز . ويورد طرق الوقاية من تلك الأمراض وأهمية التوعية الدينية للشباب . كما يورد المؤلف العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تعالج كل هذه الآفات .

المتطلبات الاقتصادية لتحقيق مطالب الشريعة في اقتصاد اسلامي / محمد عبدالمنعم عفر . ـ مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، ١٤١١هـ = ١٩٩١م ، ٢٨٤ ص .

يحرص الاسلام على الحفاظ على الدين والنفس والعقل والمال لكل مسلم . وكما يذكر المؤلف أن الأمر لا يقتصر بالنسبة للانسان بالطبع على الانتاج اذ أن الانتاج والانفاق يتلاقيان معا في تحقيق هذه اللوازم ، وقد وضع دراسته هذه مسترشداً بالتصنيف العام الذي تتبعه المنظمات الاقتصادية العالمية والذي يعد أساسا لبناء الخطط الاقتصادية للدول ، والذي حاول المؤلف من خلاله وضع تصنيف لميزانية الأسرة أيضاً ، من أجل بلوغ الأهداف المطلوبة ونجاح الاجراءات المتبقية فيها .

والكتاب يقع في خمسة فصول هى :

<u>الفصل الأول</u> : ويتناول هيكل الانتاج والانشطة المرتبطة به ، أسس تصنيف السلع ومعيار ترتيبها ، التصنيف المقترح وأهميته .

<u>الفصل الثاني</u> : عن التخطيط وبنيانه وجهاز الحسبة وعملية التخطيط وأهدافها والمشكلات والحلول الممكنة

وحصر الموارد والامكانات .

الفصل الثالث : وهو عن تقويم المشروعات وتصنيفها ، فالدين قبل النفس والنفس قبل المال ، والدين قبل المال والولد ، بينما يكون المال سبيل للوصول الى الولد ، والنساء والولد قبل المال بأصنافه المختلفة ، والعلم يأتي ليزيد الايمان وخشية الله . ومن هذا المنطلق يستعرض المؤلف تصنيفا للمشروعات والصناعات والمنتجات الزراعية مع أمثلة توضيحية منتهجا التصنيف الذي أطلق عليه اللوازم الخمس ، وهي الدين والنفس والنسل والمال والعلم المشار اليه سابقا .

الفصل الرابع : يتحدث فيه عن الموازنة العامة للدولة الاسلامية بأقسامها المختلفة ونفقاتها وبعض التطبيقات العملية .

الفصل الخامس : وقد خصصه المؤلف لميزانية الأسرة المسلمة وأولويات الانفاق للمستهلك المسلم ومدى اختلاف المستهلك المسلم عن غيره وأسس توزيع الدخل على أبواب الانفاق المختلفة .

وفي نهاية كتابه يعرض المؤلف لمسائل تطبيقية على اختيار المنتج المسلم وأولويات الانتاج ، وكذلك تطبيقات على انفاق المستهلك المسلم والأسرة المسلمة .

الشخصية الجغرافية للمملكة العربية السعودية : دراسة في الجغرافيا الاقليمية / محمد احمد الرويثي . المدينة المنورة : مكتبة التوبة ، ١٤١٥هـ = ١٩٩٦م ، ٣٢٠ ص .

وهذا الكتاب كما يذكر مؤلفه في مقدمته جاء كدراسة تعالج الشخصية الجغرافية للمملكة العربية السعودية من حيث الموقع والخصائص الطبيعية والبشرية والاقتصادية بايجاز وتركيز . وقد واجهت الباحث الكثير من الصعوبات التي ترتبط بمجموعة العوامل التي من أبرزها تباين ظروف البيئة الطبيعية للمملكة كقارة فيها من السهول والجبال والمناطق الرملية ، كذلك التباين في خصائصها المناخية .

ويقع الكتاب في ثلاثة عشر فصلاً يبدأ أولها بعد المقدمة وقوائم بالجداول والاشكال وملاحق احصائية وذلك على النحو التالي : -

الفصل الأول : موقع المملكة الجغرافي واستراتيجية المكان .

الفصل الثاني : البناء الجيولوجي وتكوين الأرض .

الفصل الثالث : التضاريس وأنواعها في المملكة .

الفصل الرابع : المناخ والعوامل المؤثرة فيه .

الفصل الخامس : الموارد المائية المختلفة .

الفصل السادس : التربة والنبات الطبيعي في المملكة .

الفصل السابع : السكان والنمو السكاني .

الفصل الثامن : مياه التحلية بالمملكة العربية السعودية .

الفصل التاسع : النشاط الزراعي وتربية الحيوان .

الفصل العاشر : البترول والمعادن .

الفصل الحادي عشر : الصناعة والسياسة الصناعية بالمملكة العربية السعودية وتوليد الكهرباء .

الفصل الثاني عشر : النقل والمواصلات بكافة أنواعها البرية والبحرية والجوية .

الفصل الثالث عشر : التجارة الخارجية للمملكة .

مقدمة الذكاء الاصطناعي للكمبيوتر ومقدمة برولوج / عبدالحميد بسيوني .- القاهرة : دار النشر للجامعات المصرية ، ١٩٩٤م ، ٢٩١ ص .

هناك الكثير من العلماء الذين يرون أن عهد ثورة المعلومات قد ولى بعد أن رسخت أقدامها ، وأن صناعة المعلومات قد أصبحت قطاعاً واعداً من القطاعات المهمة التي تعتمد عليها قطاعات الانتاج المختلفة نظراً لما حدث من تطور هائل وسريع في مجال الأجهزة والبرمجيات خلال الحقب القليلة الماضية . ومن هنا فان العالم يتقدم تقدما حثيثا

وبخطا واسعة نحو صناعة المعرفة .

ويعرف العلماء الذكاء الاصطناعي بأنه ذلك العلم الذي يبحث في كيفية جعل الحاسب يؤدي الأعمال التي يؤديها البشر بطريقة أفضل منهم ، أى انه باختصار علم يهدف الى تصميم أنظمة ذكية تعطي نفس خصائص الذكاء الموجود في السلوك الانساني والمؤلف في كتابه هذا يتناول هذا الموضوع الهام من خلال فصول خمس : هي على التوالي :

الفصل الأول : التعريف بالذكاء عامة والذكاء الاصطناعي وخصائصه ومجالاته وأهميته ومحدوديته ، ولغات البرمجة في هذا النوع من الذكاء والتي تعتمد على المنطق وليس من خلال العلاقة بين الرموز وردود الافعال المعروفة بالنسبة للجيل الحالي من الحاسبات .

الفصل الثاني : ويتحدث عن التطبيقات في الذكاء الاصنطاعي من حيث البرمجة الآلية ومعالجة اللغات واختراع الروبوت الذكي وتعلم الآلة والاعلام المتعدد .

الفصل الثالث : ويستعرض المؤلف في هذا الفصل أمثلة من النظم الخبيرة ومجالات استخدامها ومميزاتها وكيفية عملها واستراتيجيات التحكم ، مع عرض لبعض البرامج المستخدمة في بناء النظم الخبيرة .

الفصل الرابع : أساليب ولغات البرمجة في الذكاء الاصطناعي مثل لغة ريتا وسموك توك ولغة ليسب وغيرها .

الفصل الخامس : ويفرده المؤلف للتحدث عن لغة البرولوج التي ظهرت لأول مرة في السبعينات في فرنسا ، ثم تطورت في بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وهي اختصار لكلمات تعني (البرمجة بالمنطق) وتعتبر من الأمثلة الناجحة على ايجاد حاسب آلي ذكي يستطيع أن يفكر ويتخذ أكثر من قرار وفقا للمشكلات التي يستعرضها .

البيئة الطبيعية : خصائصها وتفاعل الانسان معها / محمد صبري محسوب سليم . ـ القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٤١٦هـ ، ٤٤٨ ص .

هذا الكتاب يعد دراسة علمية جادة وشاملة عن البيئة بمفهومها الجغرافي الحقيقي تبرز من خلالها خصائص البيئة الطبيعية والتفاعل المتبادل بينها وبين الانسان وذلك وفق منهج النظم البيئية .

وقد حرص المؤلف في كل صفحات الكتاب أن يظهر بوضوح الدور الجغرافي في الفهم البيئي باعتبار البيئة ميداناً رئيسياً من ميادين علم الجغرافيا تشاركها فيه العديد من فروع العلم المختلفة ، ومن ثم فان الكتاب يفيد قراء العربية فائدة كبرى ويقع في اثنى عشر فصلاً ترتيبها على التوالي :

الفصل الأول : يتحدث عن مفهوم البيئة ، ونظم الطاقة وبعض أوجه تعديل الانسان للنظم البيئية المختلفة لتتكيف مع نمط حياته .

الفصل الثاني : وهو عن النظم الايكولوجية في الفهم الجغرافي ، ويشتمل على دراسة تحليلية تلك النظم بالسواحل الصخرية وشواطيء الارساب الرملي والطيني والسبخات الملحية والكثبان الرملية .. الخ .

الفصل الثالث : وهو عن البراكين والزلازل كأخطار طبيعية .

الفصل الرابع : ويشمل البيئة الفيضية واستخدام الأراضي داخل أحواض الانهار وتنظيم مجاري الأنهار .

الفصل الخامس: وقد أفرده المؤلف للحديث عن البيئة الجبلية والتفاعل بينها وبين الانسان ، والعمران في سفوحها .

الباب السادس : ويشتمل على كل ما يخص البيئة الساحلية من حيث عمليات النحت وسواحل الجروف ، وبيئة الارساب والمشكلات المرتبطة بهذه البيئة مثل تلوث المياه الشاطئية .

الباب السابع : وهو مخصص للانسان وأثر المناخ عليه وامكانية التغير المناخي .

الباب الثامن : خاص بالبيئة الباردة والمشكلات المرتبطة بها وتفاعل الانسان معها .

الباب التاسع : البيئة الجافة والمشكلات الجيومورفولوجية المرتبطة بهذه البيئة . وكذلك المشكلات المرتبطة بالرمال والرياح والأخطار المرتبطة بها ، وظاهر التصحر .

الباب العاشر : عن البيئة المطرية الرطبة كبيئة الغابات المدارية المطيرة طوال العام ، وخصائص أشجارها ومشكلات طبيعة المناخ والغطاء النباتي ومشكلات أمراض البيئة المستوطنة .

الباب الحادي عشر : وقد خصصه المؤلفُ للمشكلات البيئية التي يصنعها الانسان كمشكلة الهبوط السطحي للأرض ومشكلة تعرية التربة وتدهور خصائصها .

الباب الثاني عشر : وهو عن المحميات الطبيعية والعوامل السلبية التي تؤثر عليها مع عرض دراسة حالة عن نظام الحماية الطبيعية في المملكة العربية السعودية .